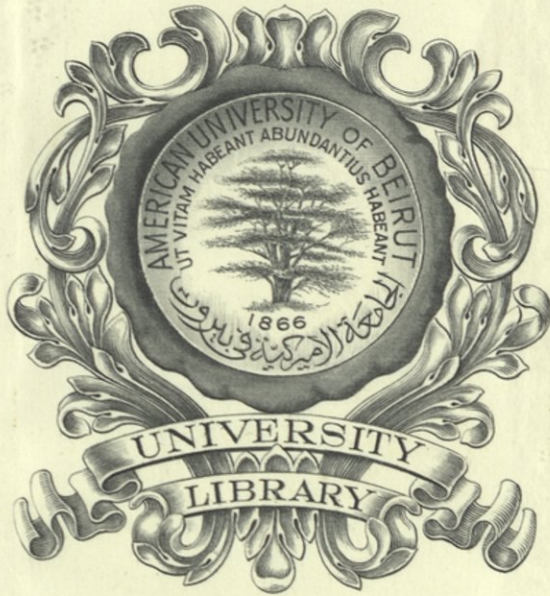
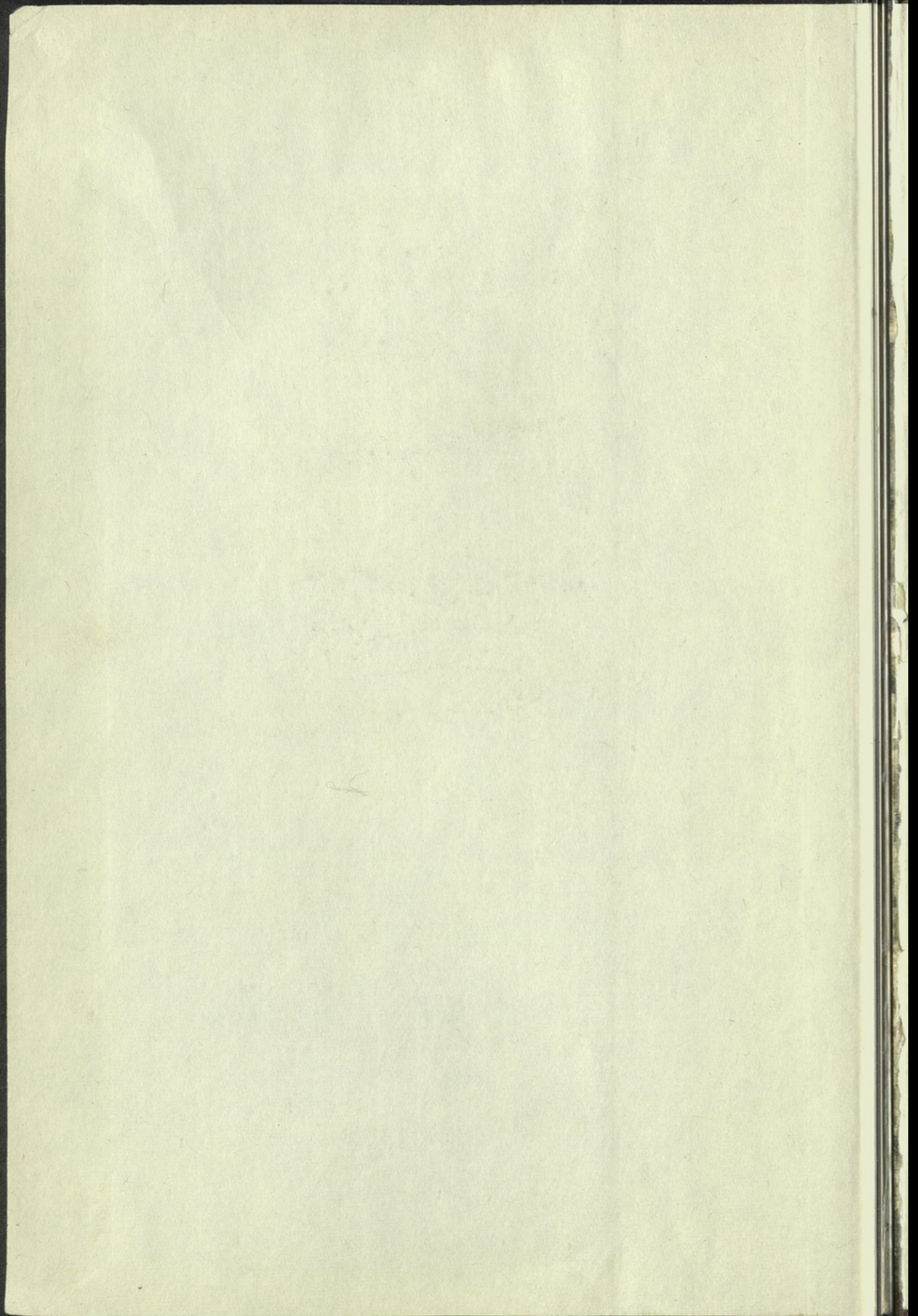


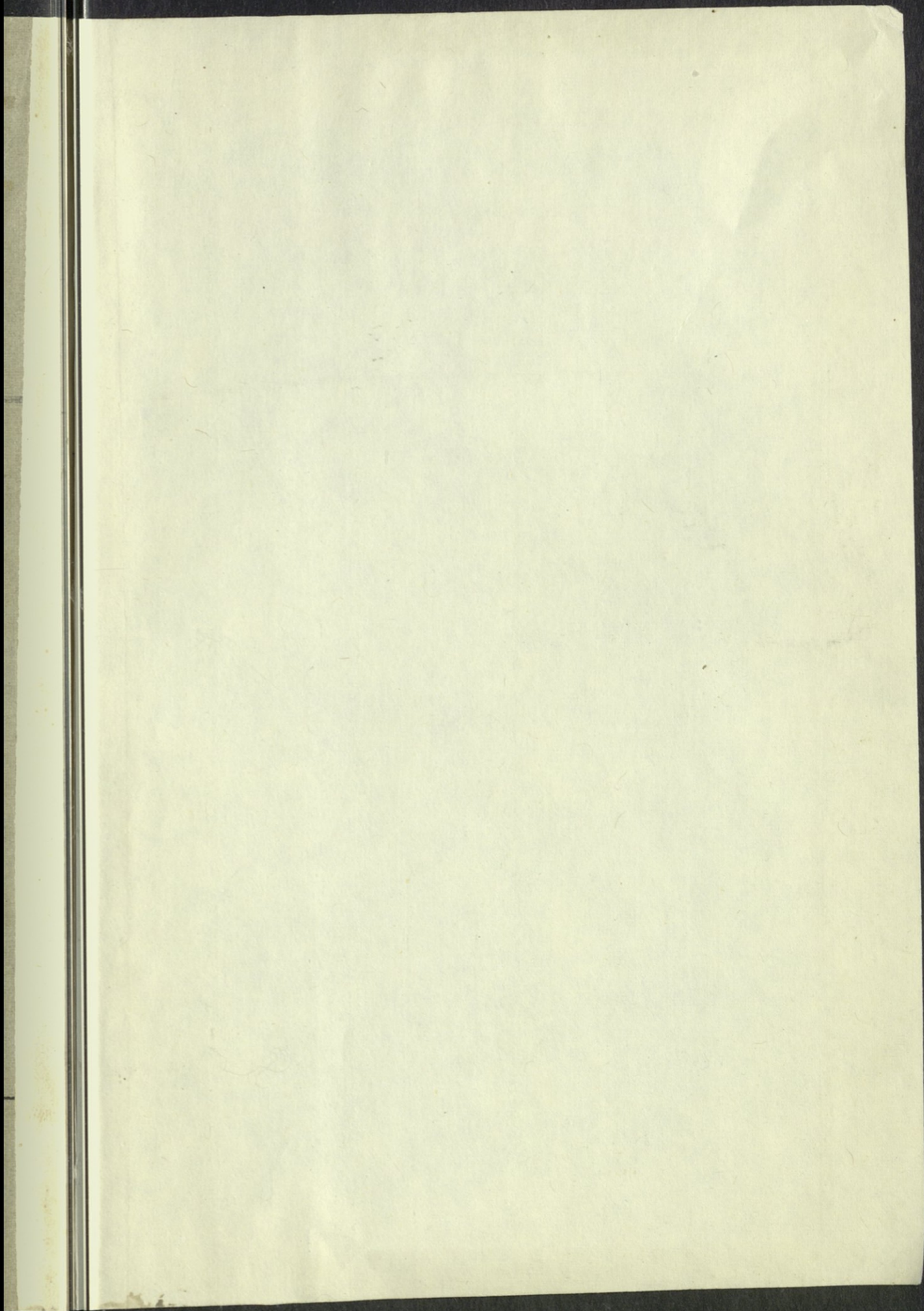
المشرق

95
K15
v. 1

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT







الشمس المشرقة

Handwritten signature or mark on the left side of the page.

تأليف

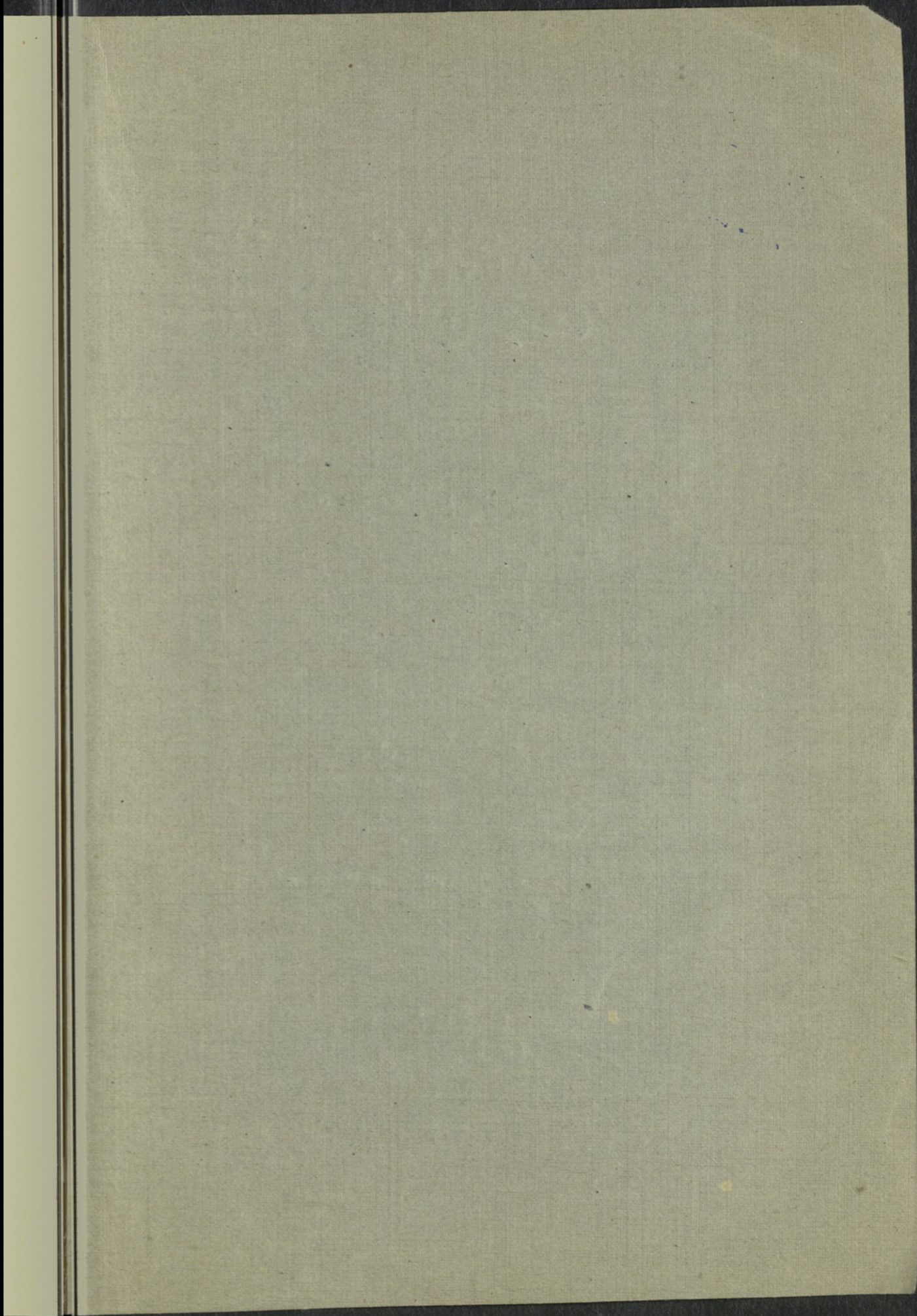
مصطفى كمال باشا

الجزء الأول

حقوق الطبع والترجمة محفوظة

الطبعة الأولى

بمطبعة اللواء بشارع الدواوين سنة ١٩٠٤



AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

952
K155A
v.1
c.1

الشمس المشرفة

تأليف

مصطفى كمال ناشيا

الجزء الأول

حقوق الطبع والترجمة محفوظة

الطبعة الأولى

بمطبعة اللواء بشارع الدواوين سنة ١٩٠٤



الميكادو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله رب العالمين وأصلي علي نبيه سيد المرسلين .
وبعد فان أفضل ما يربي الأمم ويرشدها الى طريق الحضارة
والمدينة والرفعة شرح الاسباب التي دفعت بغيرها الى غايات
الرقى ووضعت على رأسها تاجاً من العظمة والمجد . وضرب
الأمثال لابنائها بأمثالهم الذين لم تقعدهم حادثة عن النهوض
ولم يملأ اليأس قلوبهم لمصاب أهلي أو خيبة وطنية . بل اعتقدوا
ان لكل شعب حقاً في الاستقلال ونصيبة من السعادة فجدوا
واجتهدوا واتحدوا وعملوا حتي نالوا هذا الحق وذلك النصيب
ولقد كان البعض منا معاشر الشرقيين يقول ويلقن هذا
القول للصغار والكبار اننا أمم انقضى دورها ودالت الأيام

على مدنيّتها ومحا الزمان وجودها السياسي وليس في وسعها
التسلح بمدنية أوروبا ومقاومتها بها . وأن لا بد لها من الاستسلام
للغرب وقبول حكمه وسلطانة بلا عمل للحاضر وبغير جهاد في
سبيل المستقبل . فقامت أمة اليابان مكذبة لهذه الدعوي منادية
الشرقيين أجمعين بأن طريق الارتقاء ميسر لقصاده وأن من
جد وجد وكل من سار على الدرب وصل

تساءل الناس بدهشة وعجب من هذا الشعب الذي خرج
من القبور ليزعج الأحياء بأصوات مدافعه وقنابله وحركات
جنوده في البحر والبر ومطالب ساسته وتغلبه على الدولة التي
ظنّت وظن العالم معها انها لا تغلب وفوزه هذا الفوز الذي
حارت فيه العقول وكادت الدنيا ترتاب فيه . وكيف أدرك
هذا الشأو في سنوات قلائل وجارى الغرب في أمور وسبقه
في أخرى . ومن ذلك الرجل العظيم الذي سهر الليالي لاسعاده
وأثعب نفسه لاعلاء شأنه وقال : « لا بد لأمتي من نيل مالم
تنله أمة أخرى في أقصر زمن » فلبت الايام نداءه وامثل
الزمان لارادته ورأى العالم مارأى من سوّد رفيع وساطان

تهتز له البحار والبلدان وشمس مشرقة تضيء العالمين
سمعت الناس يتساءلون عن نبأ هذه الامة الشابة
فأجبت أن أقدم لهم الجواب علي مايسألون . وجئت أطرح
بين أيدي أبناء وطني الاعزاء ثمرة مطالعة طويلة وبحث
دقيقى وأنقل لهم من أخبار هذه الامة الصغراء مايسهل ادراكه
على الخاصة والعامة من القراء . نعم الموضوع يستحق المؤلفات
الضخمة . ولكني أظن ان فيما أتيت به الكفاية واعتقد ان تاريخ
اليابان هو خير مايلتقى على أعم الشرق من الدروس النافعة . ولذلك
كتبت ما كتبت مؤملا مساعدة الحوادث في تنبيه الغافلين
وايقاظ الراقدين وارشاد الناشئة الى أن «لا معنى للحياة مع اليأس
ولا معنى لليأس مع الحياة» . وانها ماهرأت من الايام السوداء
تعد للمستقبل أجمل وأكبر الايام البيضاء اذا عملت واتحدت
وعلمت ان الامة متضامنة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها
وان العاقل يجب ان يعمل لياتي عمله بالثمرة المقصودة ولو فارق
الحياة قبل نضجها وفاز غيره من بني وطنه باقتطافها
وانه ليجلولى ان اضع هذا الكتاب والعالم كله ينظر الى

اليابانيين نظرة استغراب و اعجاب و يعد انتصارهم الباهر و ظفرهم
العظيم على نهر يالو و في سد مدخل بور آرثر أجمل مادونه تاريخ
الحروب و أبدى فيه الرجال مهارة و دراية و تدبيراً و نظاماً
و شجاعة و اقداماً

و قد هدد القيصر اليابان بتأديبها مرة مرة فلم يجبه الميكادو
بكلمة تهديد أو وعيد ولم يبد شيئاً من الادعاء و الخيلاء بل أمر
جنده بالعمل عالملاً انه ابلغ الكلام . فعملوا و بهروا و اضطروا
اعدائهم قبل اصدقائهم للاعتراف بقوتهم و تمام استعدادهم
و كمال درايتهم . و ما شبه اليوم بالامس . فقد كان «لي هونغ شانغ»
و اعوانه يقولون عن اليابانيين قبل الحرب الصينية اليابانية
ما شاء الحق و الغيظ و يسمونهم بكل اسماء الهجو و الاحتقار
حتى عرفوهم في ساحات الوغى و اعتبروا بما لا قوا من فشل
و انكسار و طأطأوا الرؤس امامهم امثالاً و اعظماً . و اذا استبر
اليابانيون على هذه الخطة التي اعجب بها الناس طراً تم لهم امام
الروس ماتم لهم امام الصينيين - و انزق بين الدولتين عظيم
لا يقبل الشبه و المقارنة - و كان انتصارهم على جارتهم الصغرى

دون فوزهم على جارتهم البيضاء بكثير . على انهم لو لم يباينوا في
هذه الحرب اكثر مما بلغوا لحق لهم الافتخار والمباهاة
والله اسأل ان ينتفع تومي بهذه الموعظة الباننة ويؤمن
آمالي ويريني من همم رجال الاعمال ما يزيدني ثقة بأن بلادي
بالغة ما ترجو من حياة عالية ومجد واستقلال

مصر في ١٢ مايو سنة ١٩٠٤

مصطفى كامل

المقدمة

بأي قلم يكتب المصري عن أمة كانت في عداد الاموات
يوم كان قومه في الصف الاول من الاحياء تعجب الدنيا بهم
ويتفاخر الشريون بأعمالهم وترهب الاعداء جيوشهم
واساطيلهم . بل كيف يستطيع المقارنة بينهم وبيننا . وقد كنا
نراها عاراً فأصبحوا يرونها شئناً . وكنا ندعو الشرق للاقتداء
بنا فقاموا يدعونه للسخرية منا . وليس بعجيب ان يقف المصري
موقف الحيرة اذا اراد المقارنة بين أمتين احدهما حاوية انكثرا
والاخرى مفترسة بين انبيائها . الاولى تضرب الروس وتنافس
اكبر الممالك . والثانية لم تكف بما اصابها من ويل وبلاء بل
انقسمت على نفسها وضرب اليأس على قلوب الكثيرين من
ابنائها . وأني للكاتب ان يقارن والمقارنة لا تكون بين الصاعد
والنازل . والمتقدم والمتأخر . والحاكم والمحكوم . والسائد

والمسود . والغاب والمغلوب . والشمس المشرقة . والشمس
التي غربت !

وهل يجد المصري تسليمة في الرجوع الى الماضي المجيد
ليعرف الفرق بين ما كنا عليه وما كانوا فيه ؟ أو ليس في هذا
البحث منتهى الايلام للفؤاد الحي والوجدان السليم ؟

نعم تذكرني هذه الاساطيل اليابانية التي تجوب البحار
وتتصرف في مملكة الماء تصرف ابن السماء في رعاياه التعساء
بذلك الاسطول الفخيم الذي كان لمصر في اوائل القرن الماضي .
وأرى في هذا الجيش الاصفر الذي أذاق الروس مر العذاب
وسقاهم كؤوس الموت الزؤام صورة جنود لوطني حالفها النصر
السنين والاعوام ودخل تحت رايتها القاصي والداني من شعوب
الانام . ولكن ما أشد وقع هذه الذكرى على النفس وما أكبر
هموم ذي الاحساس والشعور ؟

إنى كما أرى في التاريخ العبر والامثال والمرهم لجراح
الامم أرى فيه شقاء الذين تولعوا بالمجد والاستقلال وقضى
عليهم ان يعيشوا في زمن الاختلال والانحلال . وما مراجعة

ذلك الماضي المجيد الا كرد الحياة لمحمد على الكبير ليرى بعيني
رأسه في أى حال صارت مصر وأى مقام أدرك اليابانيون .
ألا تراه أشقى الناس جميعاً لو ترك اليوم قبره وهجر عالم
الاموات ليصر ما يبصر ويشهد ما يشهد وتشوهت لديه
مصر وقد تركها جميلة قادرة تعشقها الدنيا ولا يسـتطيع الدنو
منها انسان

*
* *

كأن قنال السويس لم يفتح الا ليؤذن بضياع مصر
وعظمة اليابان . فقد كان عام ١٨٦٩ خاتمة الحياة الكبيرة في مصر
ومبدأها في بلاد الميكادو . ومنه اخذت انكرا تدبر الاستيلاء
على بلادنا الاسيفة لانها وفي قبضتها جبل طارق وبوغاز باب
المنذب لم تر بداً من وضع يدها على هذا الطريق الحيوى لها .
ولو كان لرجالنا عقول تدبر ومدارك ترشد لما فتحو القنال
أو لما ناموا بعد فتجه وأتوا بكل ما يساعد الانكاز على بلوغ
أمنيتهم وتحقيق أعز أحلامهم . ومن ذلك التاريخ أخذت
اليابان تخطو في طريق التقدم حتى وصلت الى ما نراها عليه

وهو يناحنا الى ما يميل القلب حزناً وغماً

ولو بحثنا بحث انصاف واعتدال في الاسباب التي قضت
علينا لوجدناها في استعمال الحكام والامراء للسلطة المطلقة
استعمال جنون واستبداد واستخدامها لاهوائهم النفسانية
ومطامعهم الشخصية وإماتتهم الشهامة في الامة وتتلهم لكل
إرادة فيها وإدخالهم الاعتقاد في نفوس ابنائها بأنهم ضعاف
عاجزون لا حول لهم ولا قوة وانهم متاع للحاكم يلعب به متى
شاء ويبيعه إن أراد . وهكذا السلطة المطلقة اذا ضاقت تخرب
في يوم واحد ما يعمر في قرون . وبالعكس اذا وجهت للخير تبني
في يوم مالا تبنيه حكومات الدستور في سنين واعوام

وكما أنها في الحالة الأولى أضاعت مصر وجرت عليها
الوبال فانها نهضت باليابان في الحالة الثانية نهضة لم ير التاريخ
لها مثيلاً ولم تسمع الأمم بما يحاكيها من قبل . فقد وفق الله
لهذه الامة السعيدة رجلاً لم يعتبر حق الملك والسيادة قوة
سحق وإبادة . بل نظر اليه نظرة صائبة وعرف انه يجب ان
يكون مصدر الخير والسعادة . وان أمة كاملة وضعت ثقها فيه

واجمعت على محبته والخضوع لشارته والامثال لارادته لجديرة
بأن تنال منه النفع العميم والخير الوفير والاصلاح المستمر
والحرية المنعشة للقلوب المنمية للقوى والدستور الذي يكفل
للأمة بقاء هذه الحرية

ومما لا يحتاج لبرهان انه لا بد للأمم من صفات مخصوصة
للمحافظة على كيانها واستقلالها والسير الي الامام في سبيل
التقدم والارتقاء . واهم هذه الصفات الشهامة وحسن اعتقاد
الامة في نفسها . وقد توفرت هاتان الصنعتان في الامة اليابانية
توفراً كاملاً . فلا يفوقها شعب في الجرأة والاقدام وتضحية
النفس حبا في الشرف الذاتي أو الشرف العام . وبلغ حسن
اعتقادها بنفسها انها لم ترض ان تكون أصولها انسانية .
فانتسبت للآلهة وتفننت في مناخرها ومجدها حتى صار الياباني
لا يرى على وجه الارض افضل منه انسانا

وعندي ان هاتين الصنعتين هما اللتان حفظتا الامة
التركية الي اليوم رغمًا عن الحوادث العديدة التي لو لحقت بغيرها
من الأمم لفضى عليها من زمان . وهما إمامفريتان في الشعوب

أو مكتسبتان . ومن يقول ان من الامم من تولد جبانة ذليلة وتموت كذلك ولا يصلحها التعليم ولا يغير اخلاقها فهو مخطيء . فكما ان سلالة الزنجي تتغير بعد سنوات معدودة وتصير بيضاء اذا تغلب دم البيض على دمه . فان الامة التي تربي على الشهامة ورفعة النفس والفضائل تكسب مع مرور الزمان هذه المزايا وتصير خالدة فيها

وبديهي ان مصلحة الحكام الظالمين تقتضى دائماً قتل عواطف الشهامة والهدمة والشعور الراقى في الامم . لانهم يريدون ان يحكموا قطيعةً من الاغنام في صورة الانسان لا أمة ذات شمم وارادة . ومحال على من يعمل لا لقاء امته ان يهمل الاخلاق . فان حياة الامم بها . والمنفعة الكبرى للتاريخ هي اقناع الناس بانهم لم يكونوا جبناء من يوم مولدهم وان رضوخهم للظلم جاء لاسباب عارضية قهرية . وان نحو هذه الصحائف السوداء من ماضى امة ميسور اذا بيضت صحائف الحال والاستقبال

ولست مبالغاً اذا قلت ان تاريخ الأمة المصرية يساعد

المرشدين والوعاظ وقادة الأفكار أكثر من تاريخ غيرها من الأمم على أحياء العواطف العالية فيها وإزالة اعتقاد السوء الذي توارثته مدة من الدهر طويلاً وإرشادها إلى مهمتها السامية بين شعوب الشرق والاسلام ووظائفها في هذا العالم . وإذا جاء يوم يفتخر المصري فيه بأنه مصري ويقبل الموت حباً في مصر طائفاً فرحاً فبشر أهل هذه الديار بكل ما يبتغون من سيادة وعظمة واستقلال !

*
* *

لما انتهت الحرب بين الصين واليابان منذ عشر سنوات وظهرت دولة الميكادو بمظهر القوة والعلم والرقى كتب أحداً كابر الكتاب الروسيين في مجلة روسية مقالة على اليابانيين قابل فيها بينهم وبين المصريين ونقلتها إحدى الصحف الفرنسية فرسخت في ذهني إلى اليوم وكما تذكرتها تألمت أشد الألم . فقد قال الكاتب فيها :

« لقد كنت في باريس من عام ١٨٧٥ إلى عام ١٨٧٧ واختلطت كثيراً بالطلبة اليابانيين والمصريين . وكنت أميل

الى الآخريين ميلا كبيرا لاني كنت كلما زرت اصدقائي منهم
طافوا بي على القهاوي ونوادي السرور وجلبوا النفسى من
الافراح غايتها بخلاف اليابانيين فانهم كانوا لا يحدوني اذا
اجتمعت بهم الا باختراع جديد أو مؤلف حديث . واذا
خرجت معهم كنت لا أخرج الا الى مجتمع علمي او مكتبة
كبيرة او لسماع خطاب سياسى او ادبي . وكنت في الحقيقة
اسأم مقابلة اولئك « الضئال النحاف » وفضل احبائي
المصريين عليهم . ولكي رأيت اليوم ما ألم اراه يومئذ : رأيت
ان هؤلاء صاروا تحت حكم الانكاييز . وأولئك سادة الشرق
الاقصى

واني لا أنكر على المصريين ذكاءهم وكفاءتهم واصلحتهم
كانوا عارفين انهم يتعلمون ليكونوا آلات للحاكم وأن ميدان
الشهرة والمكسب ضيق أمامهم وان الاوروبي يفضل عليهم
في بلادهم مهما فاقوه علما واستعدادا . بخلاف اليابانيين فانهم
كانوا واثقين بانهم يتعلمون ليقودوا أمتهم ويغلبوا الاوروبيين
وينالوا السيادة على الصفر والبيض معا . والسبب مع هذا

واضح في خمودهم المصريين مع ما هم مشهورون به من الذكاء
الباهر . وفي نشاط اليابانيين وتشوفهم لمعرفة كل جديد
واكتشاف كل سر مكنون »

وياحبذا لو ذكر الكاتب نفسه وقومه بهذه الحقيقة الآن
وقال انه لم يكن يدور في خلدته يوم كان يخالط أولئك اليابانيين
« الضئال النحاف » انهم سيضربون دولته الضخمة الهائلة
ضربات مؤلمات وانهم يأتون في خمسة وثلاثين عاماً بما لم تأت
به الروسية في قرون وأجيال . وأن لا وجود للامم بغير الوطنية
والحرية . وان لا قوة للأولى بغير الثانية ولا حياة للثانية بغير
الأولى . وان الحرب الحاضرة هي أكبر عبرة تعلم الامم التي
لا تزال متأخرة في طريق الحضارة والعمران ان الدستور
العادل هو سياج الممالك والدول وان شعباً ينمو في ظله ويرقي
تحت لواء الوطنية العالية يفوز على سواه مهما كان قليل العدد
وكان منافسه كبيره

وأى منظر أنخم وأسمي مما يراه العالم الآن ؟ أمة تبلغ
٤٩ مليوناً من النفوس متجددة الكلمة مجتمعة الرأي متفقة

الاحساس والشعور ملتفة حول عرش الميكادو لاعلاء شأن
بلادها وقهر أعدائها ونصرة جنسها وحقوقها . فكيف قامت
بهذه المعجزة الباهرة ؟ أليس لان الوطنية روحها الذي دبت
بين كبارها وصغارها ورجالها ونسائها وأغنيائها وفقرائها ؟
أليس لان هذه الروح الطاهرة تتمو فيها بفضل الحرية والمساواة
والدستور ؟

نعم يجب على ذلك الكاتب الروسي وغيره من كتاب
العالم وساسته ورجال النظر فيه أن يعجبوا من أمر هذا
الشعب الذي أثبت قواد جنده في البر والبحر انهم أقدر الناس
على المهارة وسرعة الحركات وحسن التدبير والمناورات . مع
انهم أبناء الامس . لا تقاليد لديهم ولا تاريخ للحربية والبحرية
عندهم . بخلاف أعدائهم فقد مضت القرون وهم يقودون الجند
براً وبحراً ويتمنون في ساحات القتال

إن ثقة الامة بنفسها وانطلاقها من قيود الذل
والاستعباد وتفانيها في سيادة الوطن وعظمتها تفعل ما لا تفعله
قوى الارض كلها . فذلك الزارع الياباني الذي يحرث غيطه

ليعيش هو وأهله ويقوم بواجب الضريبة لحكومته . ليس بأقل احساسا من القائد العظيم الذي يزحزح الروس عن مواقعهم ويلبس النساء والاطفال في الروسيات اياها الحداد . وتلك المرأة اليابانية التي تخون زوجها الروسي لخدمة وطنها وتكتشف أسرارها لتقدمها لحكومتها ليست دون « توجو » ومن معه وطنية وشعورا . فالكل سواء في سمو الاحساس والاميال والكل نفس واحدة في حب اليابان وتقديسها والعمل لتشريفها . وما هذه الافعال المدمخشة التي قام بها الميكادو ورجاله في زمن قصير الا ثمرة ذلك الشعور الحى : ألا وهو الوطنية

فيامن تعجبون بالامة اليابانية وتعظمونها في الصباح والمساء قفوا قليلا ومجدوا تلك الروح التي أفاضت عليها السعادة والسيادة ودلوا الشعوب الغافلة عليها لعلها تقوم من رقادها وتهتدي اليها فتبلغ كل أو بعض ما بلغت اليابان

*
* *

ما انتشب القتال بين دولتي الميكادو والقيصر حتي اختلفت الناس في مشارق الارض ومغاربها وافترقوا فرقتين : هذه

مع الروس وتلك مع اليابانيين . تقول الاولى انى انتصر
للمصليين وأرجو فوزه . ويعمل بعض أفرادها ممن لا دين لهم
سبب ميالهم لدولة التياصرة بأن نصره اليابان تكون خطراً
عاماً على الجنس الأبيض لانها تعجل بالخطر الأضر . وقال
نصراء اليابان أقوالاً كثيرة كلها معقولة مقبولة طبيعية كما ترى
وقد أبدى خاصة المصريين وعامتهم قبل اعلان الحرب
وبعد ميالهم الشديد لليابانيين . ورأى عقلاؤهم هذا الميل دليلاً
قاطعاً على ارتقاء في الشعور وقوة في الادراك والتميز . لانهم
انتصروا العدو الروسية التي طالما اعتدت على بلاد المسلمين
وكانت يدها أول يد حركها الصليب لتجزئة دولة آل عثمان وساخ
أهم بلادها منها . ولا شك ان ارتقاء الشعور الاسلامي الى
هذا الحد يفيد أن المسلمين أدركوا أنهم متضامنون في كل
أمر مهما بعدت الديار . وانه لو نطقت عظام أولئك المجاهدين
الابطال الذين ذهبوا ضحية الحروب التي أثارها الروس على المسلمين
والاسلام لأثنت أطيب ثناء على اليابانيين الذين دوخوا العدو

القديمة للدولة العلية . ولعل الروس أنفسهم يجدون هذا الشعور
طبيعياً كما أن الذين ينتسرون لهم لجامعة الدين لا يرون فيه شيئاً
من الغرابة وقد علمونا كيف تكون العواطف والاميال
وهناك أسباب أخرى غير هذا السبب الطبيعي لميل
المصريين لدولة اليابان . فانها دولة شرقية نالت من القوة والارتقاء
مالم تنله دولة أخرى في الشرق . وقيامها لا يقف الغرب عند
حده مما يسر كل شرقي أصابه شيء من طوفان أوروبا . فضلاً
عن أنها راقية حرة دستورية . وكل نفس عالية تميل بالطبع للكمال
ومن يتمسك بأذياله . وكيف لا يميل الانسان لقوم يقول الخطيب
فيهم ماشاء أن يقول ويكتب الكاتب ما أراد أن يكتب ويرى
الخطير منهم نفسه أخاً لأعظم أعظم أمام القانون . وكيف لا
ينتسرون لهم على قوم ضاقت الحياة بينهم في وجه رجل مثل
« تولستوى » كان يجب أن يعطيه الحكم قبل المحكومين ؟
ومن جهة أخرى فاننا لو نظرنا الى الحق الصرف والعدل
الصحيح نرى اليابانيين محقين في مطالبهم . لان روسيا لم
تكتف بسعة بلادها وكبر ممالكها التي تغنيها عن كل استعمار .

بل طوحت بنفسها في الشرق الاقصى وجارت بقية الدول
في تحقير الاجناس الاخرى من بني الانسان وتقدمت هي
وفرنسا وألمانيا في عام ١٨٩٥ الى اليابان وأخرجتها من
بور آرثر وكوريا وغيرهما من المواقع التي تنازلت لها الصين
عنها بمقتضى معاهدة الصلح التي أبرمت عقب حربها معها.
ثم ما لبثت الروسية حتى احتلتها بدون أن تضحى نقطة واحدة
من دم جنودها. فكيف لا تسخط اليابان عليها وتحاربها
ألف مرة؟ فضلا عن ان مجاورتها لها خطر حقيقى عليها لا بد
لها من دفعه الآن قبل استفحاله

وإذا صح ما يقوله بعض كتاب أوروبا من ان انتصار
اليابان يحدث انقلاباً عاماً في الشرق الاقصى ويبعث في الأمم
الصفراء روحاً جديدة ويجمع أمرها ويوحد كلمتها ويوجهها
الى طريق الجد والعمل. فاننا ننتهج لتحقيق هذه القضية
الآن في الصين سبعين مليوناً من المسلمين ينعش تقدمهم
قلوب الامم الاسلامية ويمجدد للاسلام حياة كبرى في الشرق
الاقصى

ولو كان الاوروبيون صادقين في دعواهم وقولهم انهم يريدون تمدين النوع البشري بأسره وانهم لا يدخلون بلاداً الا للاخذ بأيدي أهلها وتسييرهم في طريق الحضارة والمدنية لسروا بما ينتظرونه من تقدم الجنس الاصغر وارتقائه وفرحوا باليابان وتقدمها وعدوها أكبر عامل من عمال المدنية والانسانية . ولكن الحقيقة والواقع ان التنافس لا يزال القانون العام في النوع البشري . وهو يقضى بأن يعمل كل واحد لخذلان منافسه وتأخره . فلا الاوروبيون يرجون تقدم الشرقيين ولا الشرقيون يحبون دوام سيادة الاوروبيين . وصاحب التهمة لا يحكم ويفخر الناس بقوته الا اذا كانوا أضعف منه . والا اذا تعادلت القوى تعادلت السيادة وذهب عهد الحاكمين والفتاحين . ورأي الفلاسفة ما حلموا به من أول الخليقة : سعادة النوع الانساني كله فالمتصرون لليابان ينتصرون للحق والعدل والتقدم والوطنية . ويشبتون ارتقاء شعورهم بميلهم للدولة الشرقية التي ألت على العالمين أفضل دروس الجسد والاجتهاد والعمل والاتحاد

جزر اليابان

لما كان موضوع كتابنا هذا «اليابان التاريخية والسياسية والاجتماعية» رأينا أن نقول كلمة على جغرافيتها ليحيط الطلاب وعامة القراء بكل ما يتعلق بها ولا يفوتهم شيء مما يحتاجون لمعرفة بشأنها

فاليابان هي مملكة كبيرة واسعة الأرجاء تتكون من نحو أربعة آلاف جزيرة ممتدة في شرق قارة آسيا بشكل هلالى . وقد أطلق عليها في سنة ٦٧٠ ميلادية اسم «دي نيون» أي اليابان العظمى . ويلقبها اليابانيون في شعرهم بلقب «ياماتا» أي باب الجبال . ويبلغ مسطح هذه الجزر ٣٨٢٤١٦ كيلو متراً مربعاً . وطول شواطئها ٣١٤٠٠ كيلو متر تقريباً . وإذا قيس الخط الواصل من شمالها الى جنوبها يبلغ طوله نحو ٣٢٠٠ كيلو متر

(وأشهر جزر اليابان : جزائر « كوريل » التي تمتد من شبه

جزيرة (كتشكا) الي جزيرة «يدو» . ويطلق عليها اسم
« تشنسيما » ومعناها ألف جزيرة . و« ييدو » التي ينصلها عن
جزيرة سجالين بوغاز « لا بروز » و« نيون » و« شيكو كو » أي
الاربع الأمارات و« كيوشيو » أي التسع الأمارات وينصلها
عن جزيرة نيون المضيق الشهير « سيدونداكي » وجزائر
« لوشو »

(وتحد جزر اليابان شمالا بشبه جزيرة « كتشكا » التي
يفصلها عنها بوغاز كوريل وشرقا بالمحيط الاعظم الفاصل بينها
وبين أمريكا وجنوبا بجزائر الفيلين وغربا ببحر أوختسك)
وبحر اليابان وبوغاز كوريا

(أما طقسها فليس واحداً فيها . فهو في الجنوب والشرق
حار حيث تمر ريح تابعة لتيارات البحر تسمى (كوروسيو)
أي التيارات السوداء . ولكنه على كل حال معتدل عن البلاد
المجاورة لها . وهو في الغرب بارد وفي الشمال أبرد منه . ويستقط
المطر في كافة الجزر اليابانية بكثرة شديدة وعلى الخصوص في جزيرة
ييدو ويتكاثر الجليد في فصل الشتاء على شواطئ الجزر المطلة

على بحر اليابان

وأهم الخليجان اليابانية خليج « ولفش » في شمال جزيرة
« ييدو » وخليج « فولكان » في جنوبها وخليجاً أموريفان
وتولوجيفان في شمال جزيرة نيبون وخليجان يوكوهاما
وسوروجافان وأواريفان في جنوبها ثم خليج وكسافان في
غربها

(وأنهر اليابان قصيرة الطول جداً نظراً لاحتاطة جزرها
بالمياه من كل جانب وتشعب الجبال فيها طولاً وعرضاً وأطول
أنهارها لا يزيد عن ٤٠٠ كيلومتر وهو نهر « كتروجوا »
بجزيرة « هوندو » الذي ينبع من جبال « سيشانو » ويحترق
مقاطعة « ميتو » ويصب في خليج « أواريفان » في بحر اليابان
(وكافة الأنهار اليابانية غير صالحة للملاحة)

(وأشهر بحيرات اليابان بحيرة « ريوا » التي يبلغ طولها ٨٥
كيلومتراً وعرضها ٢٥ وطول محيطها ٢٩٠ كيلومتراً . وهي
محاطة بتلال وتوجد الاسماك فيها بكثرة)
وفي الشاطئ الشرقي من الجزر اليابانية سلسلة جبال

شاحنة تتصل بأخري مخرقة لجزيرة نيبون وتسير معا الى
أن تنفصل من بعضها عند بوجاز سنجاري الكائن بين نيبون
وييدو . وأشهرها جبل « بارنجتاك » الذي يبلغ ارتفاعه
٣١٣٩ متراً وجبل « ناتياما » وارتفاعه ٢٨٩٦ متراً .
وحجارتها من الجرانيت أو من الخبزف

(وفي أكثر قمم الجبال اليابانية براكين بعضها ساكن
وبعضها ثائر . وأشهرها بركان « فوزياما » بجزيرة نيبون .
وعلى مقربة منه بركان « أوسوسان » بجزيرة كيوشيو ويبلغ
قطر فوهته ١٩ كيلومتراً

والزلازل في اليابان كثيرة جداً . ولذلك يبني أهلها
منازلهم من الخشب ويجعلونها في الغالب من طبقة واحدة)
وأشهر بوجازات اليابان بوجاز لا پروز بين جزيرة ييدو
وسنجالين وبوجاز كوريل بين شمال اليابان وشبه جزيرة
« كمتشكا » . وبوجاز سنجاري بين جزيرتي نيبون وييدو وبوجاز
كوريا بين جزر اليابان وكوريا وبوجاز فرموزه بينها وبين الصين
(وبلاد اليابان زراعية . وعدد المشتغلين بالزراعة فيها يبلغون

أربعة أخماس أهلها . وترتبطها خصبة للغاية ويوجد على سطح
جبالها غابات عديدة كثيفة يرتفع بعض أشجارها ارتفاعاً عظيماً
وخصوصاً الصنوبر والسرو . وينبت في اليابان الارز والحنطة
والشعير والنول والقرطم والشاي وقصب السكر وشجرات التوت
والكافور والسنط . وخضرواتها كثيرة ومتنوعة . وكذلك
فواكهها وأشهرها اللوتس والبرتقال وتصدر منها كميات
وافرة لأوروبا

(أما حيواناتها فكلها داجنة)

ويوجد في اليابان معادن كثيرة منها ما استكشف قديماً
ومنها ما استكشف حديثاً . ففيها المياه الكبريتية والمعدنية
ويستعملها اليابانيون بكثرة ويعتقدون انها ترد للضعيف قوته
وللشيخ شياً من نضرة الشباب ويستعملون بها في شفاء الامراض
الروماتزمية والجلدية

واكتشف أول منجم للنفضة في عام ٦٧٤ بعد المسيح
بجزيرة « تشنسيما » في عهد الميكادو « هاكيهودي سدونتو » .
ووجد بعد ذلك في ثمانية أماكن أخرى بها الآن ٣٤٦ منجمها

واكتشف الذهب في حكم الميكادو « مومتو ». وفي اليابان ٨٩ منجماته أعظمها موجود بجزيرة « سادوشيا » ويستخرج النحاس بسهولة وكثرة وهو من أهم موارد الثروة اليابانية . وكذلك الحديد توجد منه كميات وافرة ولكنه رديء النوع . والكبريت موجود في كل جهة . أما القصدير فقليل والزنك والزيبق غير موجودين

(ومن أكبر مصادر الثروة اليابانية أيضاً الفحم الحجري . وهو موجود بكثرة وافرة وخصوصاً في جزيرتي ييدو وكيوشيو . ويعتبر أقدم فحم اكتشف في الشرق) وكان الغربيون يأخذون ما يلزمهم منه أثناء تجولهم من منجم جزيرة « كيوجوشيا » قبل اكتشافه بجزيرة فرموزة وبلاد الصين

وأجود نوع من هذا الفحم يوجد بشجر « نجازاكي » وأوسع مناجمه بجوار مدينة طوكيو

(وأشهر مدن اليابان « طوكيو » وهي عاصمة المملكة ويبلغ عدد سكانها مليوناً ونصف مليون من النفوس وهو كل يوم في ازدياد . وقد نظمت على الطراز الحديث من عام ١٨٦٩

أى من يوم اتخاذ الميكادو لها عاصمة لدولته . وهي ميناء ضيقة
لاستطيع المراكب الضخمة الدخول فيها . ومدينة « كيوتو »
وعدد سكانها ٣٥٣٠٠٠ نفس . وكانت عاصمة المملكة قبلا ولم
تزل الى اليوم مركزاً مهماً للعلوم والفنون والديانة . وثمر
« يوكوهاما » وعدد سكانه ١٩٤٠٠٠ نفس وهو مركز للتجارة
الاجنبية وثمر « نجازاكي » وعدد سكانه ١٠٧٠٠٠ نفس .
وهو ميناء حربية عظيمة الأهمية وبه أحواض كبيرة لاصلاح
السفن وثمر « سيهونداكي » و « هاكوديت » الشهيران
والمواصلات كثيرة ببلاد اليابان برا وبحرا فهي متصلة
ببعضها بسكك حديدية وخطوط تلغرافية . وبلغ طول الخطوط
الحديدية ٦٠٠٠ كيلومترا و التلغرافية ٢٠٠٠٠ وشركات الملاحة
فيها منتشرة بين الثغور وبعضها وبينها وبين المواني الاجنبية .
والفضل الأكبر في هذه الحياة النائضة وهذا العمران الزاهر
للميكادو الحالى « متسو هيتو »

شيء من التاريخ

أصل اليابانيين . العائلة الحاكمة . دخول المدينة الصينية في
اليابان . تلاشي السلطة الفلمية لايدكادو . حكومة الشجن وقوتها .
اضمحلها

يختلف المؤرخون اختلافاً بيناً في أصل الامة اليابانية
فيذهب البعض الى أنها من سلالة قوم مايزيين أغاروا على
جزر اليابان من الجنوب واستوطنوا فيها . ويستنتج البعض
الآخر من شكل الياباني وهيمته ولنته والآثار الموجودة في
بلادها أنه منولي الاصل . ويشترك مع المجرين والأتراك
والمغوليين والكوريين في نسبه لا كبر عائلة بشرية أسبوية
تفرقت في الارض واستعمرت البلاد والممالك (اليابانيون
لا يجتمعون مع الصينيين في أصل من أصولهم ولوانهم صغر
البشرة مثلهم واستعاروا الكتابة منهم من نحو اثني عشر قرناً .
والترق بين اللغتين اليابانية والصينية كالترق بين إحداهما وأية

لغة أوروبية) واتحاد الامتين في اللون والجنس هذا الاتحاد
الظاهري هو كالشبه بين الفرنسي ساوي والانسكايزي في لون البشرة
مع اختلاف أصولهما

(وقد أبا اليابانيون أن يكونوا أمة بشرية كبقية الامم
فدفعتهم العزة الالهية للانتساب للسماء وجاء في مؤلفاتهم
التاريخية مثل « كوجيكي » و« نيهونجي » اللذين ألفا في القرن
الثامن بعد المسيح ما ترجمته :

« انه عند ما نزل أجدادنا من السماء الى أرض جزيرة
« كيوشيو » وجدوا البلاد مسكونة بقبائل متوحشة يرأس
كل قبيلة منها زعيم شديد البأس نافذ السكامة . فوقع القتال
بين أجدادنا وهؤلاء الاقوام وانتصروا عليهم وغزوا منهم
جزيرتي « كيوشيو وشيكوكو » . ثم أخذوا بعد ذلك في
محاربة سكان الجزر الاصلية « نيبون » - المشتق منها اسم
اليابان - وتغلبوا على قبائل « اينوس » المتوحشة التي سموها
فيما بعد « ايسو » أي البرابرة . وجعلوا مقر حكومتهم بعد
الانتصار في موقع لا يبعد عن مدينة « كيوتو » الحالية .

وقد استعرت القلاقل والاضطرابات ودام النزاع بين
أجدادنا وهؤلاء المتوحشين عدة قرون انتهت بسيادة الامن
وخضوع البلاد لسلطة أبناء السماء أجدادنا «

وجاء في مؤلفات أخرى يابانية ان قبيلة الأينوس
تنسب للأمير «كارومي» أحد أمراء آسيا . وذلك « انه كان
لهذا الأمير ثلاث بنات فولعت أحدهن بحب رجل من الاهالي
حباً شديداً . ولما نمت الخبر لا يها أمر بتغطية كل جسمها بالشعر
كما كانت العادة وقتئذ ثم بقتلها . ولكنها تمكنت من الهرب
في منتصف الليل وقصدت شاطئ البحر حيث وجدت قارباً لم يكن
فيه سوى كلب كبير فلجأت اليه وسارت به الى حيث شاءت
الاقدار . وقضت مع الكلب في رحلتها أشهراً طوالاً رأت
فيها الاهوال حتى وصلت الى جبل شامخ على شاطئ البحر كان
غير مسكون فنزلت مع رفيقها (الكلب) ووضعت توأمين ذكراً
وأنتى . منهما نشأ العنصر الأينوسى «

ولا شك أن اليابانيين القدماء لم يضعوا هذه القصة
الا ليحقروا الأينوس بقدر ما يعظمون أنفسهم وليربوا أبناءهم

على الاعتقاد بأنهم أشرف الأمم وأبناء السماء وان غيرهم دونهم
أصلاً واعتباراً

وعلى ذكر جماعة الاينوس نقول ان بقاياهم لا يزالون يسكنون
جزر « يذو وسجالين وكوريل » في شمال اليابان ويبلغ عددهم
نحو العشرين الف نفس . ومعيشتهم على جانب عظيم من البساطة
ولغتهم لفظية لا تكتب . وحسابهم لا يتجاوز الالف عدداً وهم
أكثر أهل الارض شعراً وقذارة . ومعتقداتهم غريبة .
يعتبرون الشياطين آلهة الشر والانهر التي يصطادون منها
الاسماك آلهة الخير . وهم أقوياء صادقون شديداً والشكينة
إلا أنهم كسالى

*
* *

(ولا يزال اليابانيون الى اليوم يعتقدون ان عائلة الميكادو
ليست بشرية الاصل وان أول امبراطور « جيهوتنو » هو حفيد
« أماترازو » ربة الشمس وبنت الالهين الكبيرين « ايزانا جي
وايزانامي » اللذين هما من سلالات إلهية مقدسة أوجدت اليابان .
ويؤخذ من المؤلفات اليابانية ان امبراطرة اليابان كانوا يحكمون

جزيرتي كيوشيو وشيكوكو ونصف الجزيرة الكبيرة المعروفة
باسم « هوندو » في القرن الثامن بعد المسيح وان جدم
« جييهوتنو » كان امبراطوراً على اليابان قبلهم من أربعة
عشر قرناً ونيذاً أي ان العائلة الحاكمة اليابانية تولت الاحكام
من ٢٥ قرناً وأكثر . وهي بلا ريب أقدم عائلة في العالم
وصاحبة أسمي مجد يؤيده القدم

ويعتقد اليابانيون ان بلادهم وحدها هي التي خلقها الآلهة
وان بقية بلاد العالم وجدت بتأثير قوي الطبيعة واضطراباتها
المختلفة . وان « جييهوتنو » لما نزل من السماء هبطت بجزيرة
« كيوشيو » وانتقل منها بالبحر الداخلي الى جزيرة « هوندو »
وبعد ان هزم القبائل الساكنة فيها استولى على الجزء الغربي
منها لغاية غاباتها الوسطى التي كان يسكنها المتوحشون
وفي عام ٦٦٠ قبل المسيح اتخذ عاصمة ملكه في ولاية
« ياماتو » بالقرب من مدينة كيوتو الحالية . ويقول البعض
انهم وجدوا قبره بها في هذه الأيام . واليابانيون يعتبرون هذا
التاريخ مبدأ حياتهم ووجودهم وتأسيس مملكتهم . ويروي

تاريخهم ان كل واحد من السبعة عشر امبراطوراً الذين تولوا
بعد « جيموتنو » عاش بين ١٠٨ و ١٤٤ عاما وان الآلهة
تدخلوا في أمور المملكة غير مرة لاصلاح شؤونها.....
ولاشك ان أهم حادث في ذلك التاريخ القديم هو إغارة
اليابانيين على كوريا في أواسط القرن الثاني بعد المسيح تحت
قيادة الامبراطورة « جنجو كوجو » . وهي من أغرب النساء
وأشهرهن بالشجاعة والاقدام . فقد مات زوجها وكانت حاملا
أثناء إعداد التجريدة . فلم ترض بتأخيرها وسارت على كوريا
وهزمت سكانها وعادت بالنصر المبين
ومما يجعل الارتباط بين الأمة اليابانية والعائلة الحاكمة
فيها قويا متيناً راسخاً أنهما نشأتا معا وشبتا معا . فلا يذكر
اليابانيون أصلهم وأدوار تاريخهم الا وأجداد الميكادو وحكامهم
وقادتهم . ومثل هذا الاشتراك في الاصل والمجد يوجد تحالفا
طبيعيا بين الملك ورعيته . تزيده الافعال المجيدة قوة علي
قوته

*
* *

(كان اليابانيون لغاية القرن السادس بعد المسيح يعيشون في
حالة السذاجة الاولى ويكتفون بالسمك والارز طعاما وباللبانى
الخشبية دورا وبديانة « شنتو » عبادة . وهي لا تعدى تمجيد
آباء الميكادو والسالفين من الاجداد والاعتداء بأعمالهم الصالحة .
ثم أخذت المدينة الصينية من ذلك الوقت تدخل في اليابان شيئا
فشيئا حتى سادت فيها ونشرت ديانة « بوذا » بين أهاليها وأحدثت
انقلابا عظيما لا يحاكيه الا الانقلاب الذي أتمته مدينة أوروبا
في هذه السنوات الاخيرة . ومبدأ دخول المدينة الصينية
كان على أيدي سفراء كوريا الذين كانوا يأتون الى اليابان
حاملين الهدايا والخراج) ويقول المؤرخون اليابانيون ان
الحادثة الاولى التي فتحت العيون لمدينة الصين وحيبتها الى
اليابان ان الميكادو كان مريضا في أواخر القرن السادس فعالجه
أحد سفراء كوريا ونال الشفاء على يديه . وان مبادئ
« قومفسيوس » دخلت من ذلك الحين كما ان دودة الحرير
وصناعة النسيج انتقلتا الى هذه الامة التي خلقت ولوعة بكل

جديد ميالة للتعلم والاستفادة (ولم تشرق شمس القرن السابع
عليها حتي كان أفرادها يتنافسون في معرفة الصنائع والعلوم
والننون والعوائد الصينية) ودراسة دين « بوذا » الذي زاحم
دين « شنتو » عزاحة هائلة . حتي صار له في زمن يسير ٤٦
معبداً و ١٣٨٥ قسيساً . (وفتحت المدارس أبوابها لآداب الصين
وحكمتها . وأرسلت الحكومة الارساليات الى أمهات المدائن
الصينية لاتقان الننون والصنائع والاحاطة بكل علم . وغيرت
نظاماتها ودستورها وقلدت الصين في حكومتها فانشأت
الوزارات والمجالس وقسمت الموظفين الى ملكيين وعسكريين)
ولم تمت الامبراطورة « سويكو » في عام ٦٢٨ - وهي التي
أحدثت هذا الانقلاب في نظام الحكومة - حتي كانت
اليابان مصبوغة بالصبغة الصينية

(وقد حافظ اليابانيون على ذوقهم الخاص بهم في العمارات
وأثاث المنازل . وبعد أن قبلوا المدنية الصينية كما هي أخذوا
يميزون بين ما يوافقهم ومالا يوافقهم منها . وفاقوا الصينيين
فيما أخذوه عنهم من الصناعات المختلفة والطرق الزراعية

والفنون الجميلة) ولم تحول ديانة « بوذا » بينهم عن أصولها
وغاياتها كما تحولت بين الصينيين . ووضعوا نظام حكومتهم
حسب أميالهم وطبائعهم فحافظوا على حق الوراثة في الحكم
وأعطوا الأقب الشرف والسيادة لعائلات معلومة لا لأفراد.
وخصوصا برئاسة الوزارة - وتعرف عندهم باسم « كوامباكو » -
عائلة « فوجيوارا » . وهي من أكبر عائلات القصر
الامبراطوري وكانت تقضى التقاليد بأن تكون الامبراطورة
منها وأن يتولى بقية افرادها وظائف سامية في الحكومة

*
* *

ومن ابتداء القرن التاسع تلاشت السلطة « الفعلية »
للميكادو وصار الوزير الاول يحكم باسمه . واستمر هذا الحال
من ذلك الحين الى عام ١٨٦٨ أى مدة عشرة قرون تماما .
وكان الميكادو يولي طفلا ويعتزل الاعمال طفلا ويقضى بقية
عمره في معبد من المعابد وقلده الكثيرون من اليابانيين فكان
التاجر يترك التجارة في شبابه الغض والمزارع يهجر غيظه في
قوة الحياة ونضارة العدر . حتى صار العدد الجم من الاقوياء

الاشداء بلا عمل وقصرت حياة الجد والاجتهاد والسعي
وكان رجال القصر لا يشتغلون الا بالملاهي والفنون
والشعر. وقد أدت هذه الحالة الي ايجاد حكومة الاشراف
والالتزام في البلاد. فتكونت طبقة عسكرية بجانب الهيئة
الملكية التي تتصل بيت الملك وتسند اليها الوظائف الملكية
الكبرى وتعرف باسم « كوجي ». واجتمع حول العائلات
العسكرية الجنود الخاضعون لها الذين عرفوا من ذلك الوقت
باسم « ساموراي » واشتهروا بالجرأة المتناهية والشجاعة التي
تضرب بها الامثال. ونبغ من بين العائلات العسكرية عائلتان
بلغت المنافسة بينهما غايتها وهما « تايرا » و « ميناموتو ».
وسلالتهما تتصل بامبراطرة اليابان وأمهاتهما من سراريهم.
وكان لكل واحدة منهما عضو صغير في بيت الملك ترشحه
للعرش

وقد فازت عائلة « تايرا » على منافستها في منتصف القرن
الثاني عشر بعد المسيح وقام من رجالها المدعو « كيوموري »
بالحكم باسم الميكادو من عام ١١٥٦ الى ١١٨١. وذبح كافة

أفراد عائلة « ميناموتو » . ولم ينج منهم الا « يوريتومو »
الشاب وهو الولد الأكبر لرئيسهم . والفضل في نجاةه لأحد
الزعماء التابعين لكيوموري . ولما بلغ سن الرشد ثار في ولاية
« كوانتو » ومن حسن حظه ان كيوموري مات فسار على
مدينة « كيوتو » ومعه أخوه من السفاح « يوشيتسون »
الذي هرب من معبد كان مسجوناً فيه . وبعد ان استوليا على
العاصمة وضعا على العرش طفلاً لا يتجاوز السابعة من عمره
بدلاً من الميكادو « أنتوكو » الذي أخذته عائلة « تايرا » معها
أثناء هروبها إلى جزيرة « كيوشيو » . وبعد واقعة بحرية جرت في
البحر الداخلي في عام ١١٨٥ وانتصر فيها « يوشيتسون » على
عائلة « تايرا » انتصاراً باهراً تم الأمر لأخيه « يوريتومو »
وحكم اليابان باسم الميكادو

وقد أثار هذا البطل الكبير « يوشيتسون » الذي لا يزال
اسمه بين اليابانيين أكبر أسماء رجال الحرب والضرب على
منشوريا . ولكن أخاه توجس خيفة منه وأمر بقتله وأرسل
ضده جيشاً من القتلة وقطاع الطريق في طول اليابان وعرضها .

الا انه نجما بفضل اخلاص أحد ضباطه المدعو « بنكي »
والراقصة « شيدزوكا » . ويقول اليابانيون انه لما ضاقت الدنيا
في وجهه من معاملة أخيه له سار الى منشوريا وألف جيشاً كبيراً
من المغول وسمى نفسه « جنكيز خان »

ومن ذلك التاريخ سادت حكومة الاشراف في اليابان
واستصدر « يوريتومو » من الميكادو في عام ١١٩٢ أمراً
بتلقيه « شجن » أي « المكلف باخضاع المتوحشين » .
واتخذ مدينة « ييدو » عاصمة له وترك الميكادو في « كيوتو »
وصار من اختصاصه القيام بأعباء الحكم بالنيابة عنه والاعتراف
له بالسيادة الاسمية . وصارت جنود الشجن هي التي تحرس
الميكادو في قصر « جوشو » بمدينة كيوتو

وبعد موت « يوريتومو » في عام ١١٩٨ استولى حموه
« هوجو تو كيمازا » علي زمام الحكومة باسم القصر من أبناء
بنته وبقيت السلطة فيه وفي عائلته بسبب موت أولئك القصر .
ومما يخلده التاريخ له انه تغلب على الاسطول المغولي الذي أرسله
« كوبلاي خان » للاستيلاء على اليابان ورد اعتداء الاجانب

عن بلاده . ولم تر اليابان بعد ذلك غارة أجنبية عليها . وقد
ذهبت دولته في عام ١٣٣٤ حيث اتحد الاشراف مع الميكادو
« جودايجو » وقضوا على سلطته . ولكن السلطة لم تلبث
أن خرجت من يد الامبراطور حيث ثار عليه أحد ضباطه
المدعو « أشيكاجاتا كوجي » وأخرجه من عاصمة ملكه وأقام
غيره من العائلة الامبراطورية . وعين نفسه « شجنًا » . واستمر
هو وعائلته في الحكم حتى قامت حروب أهلية في القرن
الخامس عشر خربت اليابان وأنكر فيها جنود الساموراي
سلطة الميكادو والشجن ولم يعترفوا بالسيادة أمرائهم المعروفين
باسم « دايمو » وهم أصحاب الالتزامات الكبيرة في البلاد
وقد كان القرن السادس عشر قرن خراب وشقاء وانحطاط
زال فيه مجد المدائن وجمالها وصارت العاصمة نفسها في أسوء
حال وترك اشراف القصر مولا هم الميكادو وفروا هارين .
واستمر الحال كذلك حتى وفق من الاشراف « أوتا . نوبوناجا »
من سلالة عائلة « تايرا » لان يجمع القوم حوله ويعزل آخر
حاكم من عائلة « اشيكاجا » في عام ١٥٧٣ ويستلم أزمة الأمور

بهدية وعزم ويعيد السكينة والسلام والامان . ولكن أعوانه
خانوه في عام ١٥٨٢ ورأي أعداءه محيطين به فشق بطنه بنفسه
« كما هي العادة القديمة في اليابان » وفارق الحياة

وتولي الامر من بعده أحد خدامه « هيد يوشى »
وأصله وضع . وهو الوحيد الذى ارتقى في تلك العصور من
أحقر طبقات الشعب الى أسمى المناصب . وبعد ان تغلب على
أعدائه ونظم الاحوال جرد جيشاً لفتح كوريا . ولكنه لم يفلح
للاختلاف الذى كان سائداً بين القواد

*
* *

وقد حدث في منتصف القرن السادس عشر حادث خطير
الشان وهو ان القديس « فرنسوا كزافيه » دخل اليابان
وقابل في بادئ الامر أمير « بونجو » ثم أخذ يلبى مبادئ
المذهب الكاثوليكي لليابانيين وأتى بعدد كبير من المبشرين
البرتغاليين حتى ازدحمت بهم اليابان على سعتها وبلغ عدد الذين
اقتنقوا الدين المسيحي من اليابانيين نحو مليون من النفوس
مع ان عدد الامة كان يومئذ لا يتجاوز عشرة ملايين فرأى

الشجن « هيدوشي » أن بقاء المبشرين صار خطراً على سلامة
المملكة وأصدر أمره لهم في عام ١٥٨٧ بأن يتركوا أراضي
اليابان في ظرف عشرين يوماً . وقتل منهم تسعة مبعوثين
وسبعة عشر مسيحياً يابانياً في ثغر « نجازاكي »

وبعد موت « هيدوشي » في عام ١٥٩٨ كانت سلطة
الأشراف قد ضعفت وتزعزعت قوة أميري الجنوب « شوشيو »
و « شاتسوما » وكانا مشهورين بشدة البأس ونفوذ الكرامة .
واستعدت البلاد لحكم جديد ونظام حديث وكانها ظلمت
رجلاً من دواهي الرجال فلباهوا واستغانت بأرادة قاطعة نسعت
إليها . وذلك ان « هيدوشي » ألف قبل موته مجلساً للوصاية
علي ولده القاصر « هيدوري » وكان رئيسه « توكوجاوا ياس »
أو « ياسي » أكبر قائد للجند في عهده . فلم يلبث الاعامين
حتى اختلف مع بقية الاوصياء وشكل جيشاً من أشجع
رجال الشمال والشرق وهزم توي أشراف الجنوب والغرب
واستبد بالأمر في اليابان . وهذا الرجل هو من أكبر
فحول اليابان بل من آحاد قادة الامم في التاريخ . وقد جمع

في حكومته بين مظاهر الحكومات المطلقة ونظام حكومات
الاشراف والالتزام ووحيد الامر ورد للميكادو نخامة الملك
وأبته مع حرمانه من قوته وسيطرته وقرر أن يذهب اليه في
كل عام لتأدية واجب الخضوع والاعظام وأقام حكمه على
أساسات متينة راسخة وبقي الامر في أعقابه ٢٥٠ عاما كانت
كلها سكونة وسلاما

وقد اضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً واعتبرهم أعداء
أعداء بلاده ورسل الخراب اليها ومهدى استيلاء الدول
الاجنبية عليها وأعلن عداوته لهم في عام ١٦١٤ واستمر ابنه
وحفيده من بعده على خطته حتى تلاشى الدين المسيحي من
اليابان وتخاص ظله في عام ١٦٣٨ . ولم يكتبف « يياسى » بذلك
بل أقفل أبواب اليابان أمام الاجانب وحرم علي اليابانيين
الخروج منها . وجعل وجهته : اسعاد اليابان في الداخل وبقاء
السيادة فيها له ولعائلته . وبعد ان كان الهولنديون يتجرون
في كل انحاء المملكة قرر « هيدتادا » ابن « يياسى » أن لا يتجر
أجنبي في غير نثر « نجازاكي » . وبقيت اليابان مدة قرنين

بعيدة عن العالم كانه لا يطرقها طارق ولا يدخلها أحد
أما المبادئ التي أقام « يياسى » عليها حكومته فهي عدم
خروج الميكادو من قصره في كيوتو وترك ١٥٥ عائلة من
الاشراف حوله لخدمته . ومنجه في العام ٩٠٠٠ « كوكو »
من الارزاي ١٦٢٠٠ هكتولتر . وعدم التصريح لاحد من
الامراء والاشراف حکام الاقاليم بالمرور من كيوتو
وقسم البلاد الي ٣٦٠ قسماً أقام على كل واحد منها أميراً
يعرف باسم « دايمو » وجعل أعباءه وأخصاءه أكبر الامراء
ومنجهم أحسن الاقسام وفرق أعداءه أو من ظن فيهم عدم
الميل له . وأحاط كل أمير بجماعة من « الساموراي » الذين
كانوا يكوّنون جزءاً من عشرين من الامة ويأنفون حراسة
الارض ويراقبون الزراع المستأجرين لها
وقد كان لهؤلاء الساموراي شأن هائل في تاريخ اليابان .
وأولادهم هم الذين صعدوا بها في هذه الاعوام الأخيرة الي
هامة المعالي وقة الجسد والارتقاء . وكان الساموراي يحمل
سيفين واحداً في اليمين وآخر في الشمال وقد سماهما يياسى

« فؤاده الحى » . وكانت هذه النريقة العسكرية تعيش من مرتب يمنحه لها سيدها وتقوم بأعظم ضروب الشهامة . ومن اخلاقها التعلق الشديد بأمرها والتعصب لحزبه واحتقار الموت والتمسك بعادة « هارا كيرى » التي تقضى بشق البطن لأقل اهانة وكان أفرادها يتعلمون الرسوم الخاصة بهذه العادة من عهد طفوليتهم . ومنهم يتألف الجيش ويختار الموظفون المنوطون بأدارة الشؤون الزراعية والأدارية . وكانوا كذلك على جانب كبير من المعرفة والآداب ولا رأهم تأثير عظيم في سياسة البلاد . وكان اذا حرم أحدهم من خدمة سيده لأي سبب من الاسباب يطوف البلاد فوق جواده ويؤدب الجناة والطغاة ويقوم بما يسمح له به هواه . وقد يجتمع على أمثاله ويعرضون خدماتهم على أحد الامراء لنصرته في حرب أو مناوشة أهلية أما بقية أفراد الامة أي التسعة عشر جزءاً الباقية منها فكان يطلق عليها اسم « هيمين » أي « العامة » . وكان الزراع هم العدد الأكبر فيها ثم يليهم الصناع فالتجار . وكانت اليابان في ذلك العهد تحتقر التجارة والتجار . وبعد هذه الطبقات

طبقتان يأتف من الاقتراب منهما كل ذي أخلاق وهما «إيتا»
اي «القذرون» وهم المحترفون بالحرف السافلة « وهينين»
أي «الذين ليسوا رجالا» وهم الشجاذون والمتسولون
ولم يكتف «يياسى» بالاعتماد على القوة العسكرية بل
وضع نصب عينيه حكمة الجبارة والمستبدين « فرّق تحكم»
فأوجد أسباب الشقاق والافتراق بين الاشراف وبعضهم
ووصلت يده الى كل جهة في البلاد وكل دار من ديار الامراء
الا الجنوب فانه بقي متجداً تحت سيادة امراء « شوشيو
وشاتسوما وهيزن»

وقد اتبع أبناء «يياسى» خطته وجروا على سياسته
واستصدر حنيده «إيمتسو» أمراً من الميكادو في عام ١٦٣٥
بأن يقيم كل «دايمو» عاماً في إمارته وآخر في مدينة «يدو»
بالقرب من الشجن وأن يترك نساءه وأولاده فيها العام الثاني
وبذلك كلفهم من النفقات مالا يطيقونه وأفقرهم تحت عبء
الشرف . وملاً اماراتهم بالجواسيس والمخبرين
وبهذه السياسة سادت عائلة «توكوجاوا» مدة ٢٥٠

عاما وعلمت اليابانيين احترام السلطة والامتثال لها ومعرفة
الواجب وتشريفه . فنشأ الولد يطيع أهله طاعة عمياء . والزوجة
تمثل لزوجها والزارع للساموراي والساموراي لأميره والامير
للشجن . وكان القانون بسيطا يعرفه كل انسان . فلم يكن
يجهل ياباني ان عقاب السرقة الاعدام . وان الارض ليست
ملكاً لأحد بما انها ملك الميكادو . وان الشجن ينوب عنه
في ادارتها . ويقوم الدايمو مقام الشجن ويحل الساموراي محل
الدايمو . ويستأجر النملح الأرض من الساموراي ليغذي الجميع
وقد عاشت اليابان في ظل هذا النظام سعيدة مستريحة
لا تعرف القلاقل والاضطرابات والحروب الاهلية . وترقت
من الوجهة الاقتصادية كثيراً . وتقدمت الآداب والتمنون
والصناعات الجميلة فيها تقدما باهراً . وكل ما يراه الناس الآن
من البدائع اليابانية والمصنوعات الدقيقة المدهشة هي من آثار
عصر عائلة «توكوجاوا» . ودرست كذلك في أيامهم مؤلفات
الصينيين في المدارس وانتشرت المدنية بين طبقات الشعب
ولكنها كأغلب العائلات الكبيرة رأت أيام الانحطاط

كما توجت بتيجان العظمة والرفعة . فقد تنازل الشُّجْنُ في
أوائل القرن الثامن عشر عن السلطة الفعلية لوزرائه - واستمر
كذلك الى ان زال حكمه بالمرّة - واشتغل بالنساء وعلت كلمتهن
عليه وصارت مدينة « ييدو » مقر اللذات والملاهي ومرسح
الفجور والتباهي بالخلاعة . وبعد أن كان الشبان يتعلمون فيها
حمل السلاح وضروب الشهامة صاروا يجيئون اليها ليعرفوا
كيف تزين الوجوه . وانتقلت العدوي من الشجن الى الامراء
فألقوا مقاليد الامور للساموراي وصار الصغير يراقب الكبير
والمحكوم يقود الحاكم

أما الميكادو فبقي سجيناً في قصره بمدينة « كيوتو »
ونسيت الحكومة مبادئ « ياسي » فخرته من جزء عظيم
من مرتبه وترك رجال معيته يشكون الفقر والفاقة وقصره
يتداعي . وأبطل الشجن عادة زيارته مرة في كل عام لحفظ
الظواهر وتغريير الشعب بأنه النائب عنه . وبذلك أخذ الناس
ينظرون بعيون الحسرة والندم الى ذلك الامبراطور صاحب
الحق الشرعي الذي صار خيالا وذلك المغتصب المنعم الذي لا

يستمد سلطته الامن القوة واستسلام الشعب . وأخذ عقلاء
الامة من ذلك الحين يراجعون المؤلفات القديمة والتاريخ الاهلي
حتى ساد بينهم رأي واحد : وهو ان النظام السياسي لليابان
تحول عن مجراه . وسلبت سلطة الميكادو غدرًا وعدوانا
واحتقرت ديانة « شنتو » التي تمجد آباءه وأجداده وتشرف
الاصل الياباني أي تشریف . وعوضت بدين بوذا وقومنسيوس
لقتل العواطف الالهية ومحو المحبة الوطنية من النفوس
وأول من أذاع هذه الحقبة ونبه اليها البرنس « دي ميتو »
أحد أقارب الشجن نفسه . وكان قد التجأ اليه فلاسفة صينيون
اضطهدتهم حكومة بلادهم فتناقش معهم طويلا في مبادئ
« قومنسيوس » وعلم منهم انها توافق مبادئ « شنتو » في
انه لا يجب أن يكون بين الاب وأبنائه واسطة وان الميكادو
هو أب الشعب والشجن معتصب لحقه وان السلطة الوحيدة
الشرعية هي سلطة الميكادو سليل الآلهة

وقد سرى هذا الاعتماد بين الطبقة الراقية وفرقة
الساموراي سريان الدم في العروق وتردد بينهم تردد الانفاس

في الصدور وتكونت لهم عقيدة وطنية زادها قوة على قوتها
ما كانوا يرونه من النعيم الوافر المحيط بقصر الشجن والنقر
المدقع المخيم على دار الميكادو . وبلغ من تأثرهم لحالة أمبراطورهم
وتألمهم لاضمحلال سلطته وزوال أهبته ان سامورياً أسده
« تاكاياما » قطع نصف بلاد اليابان على قدميه في عام ١٨٤٠
بقصد رؤية قصر الميكادو . وصر في طريقه على « ييدو »
فراى الشجن فيها موضع العظمة والاجلال منم البال تحفه
السعادة والجلال ونظر عند وصوله الي كيوتو قصر سيده
وسايل الآلهة العظماء فراه في أتعس حال مهجوراً مهردد
البناء فثا على ركبتيه وررع على التراب ثم قام وقلبه يتمزق . ولم
يعش بعد ذلك الا يومين حتى مات حزنا وانفعالا

وما انتشر خبر هذا الساموراى بين الناس حتى تناقل قصته
الكبار والصغار وتضاعفت آلامهم وكبرت همومهم وعز
عليهم أن يروا أشرف ممثل لمجدهم القديم فى هذا الانحطاط
واجتمعت حوله القلوب حبا وحنانا وتعلقت به الافئدة وطنية
واخلاصا . ورأى الخاصة والعامة ان سلامة الوطن فى سلامته

وانقاذ من التوضى السائدة فيه باعادة سلطة الملك الى صاحبها
وسيادة العرش الى أحق الناس بها

وفضلا عن ذلك فقد أثقلت حكومة الشُّجْن كواهل
الاهالي بالضرائب والمظالم وصار جيش الساموراي عالة عليهم وحمل
ثقيلا لا يطاق. واضطر التاجر لا خنء ثروته في جوف الأرض كما
كان يفعل أغلب الشرقيين واضطهد المزارع وعمت المغارم وارتفعت
الاصوات بالشكوى من هذه الحكومة التي لا تشبع ولا ترحم
وتطلعت الشيبية اليابانية في ذلك العهد لمعرفة ما يجري
وراء البحار ودفعها حب الجديد والتشوف لكل أمر غريب
لانتشار في ثغر « نجازاكي » لمواصلة التجار الهولانديين سرا
وتعلم الطب منهم بنوع خاص . وقد قاسوا الشدائد والاهوال
في الاستفادة من أولئك الاجانب لجهلهم لغتهم ولكنهم
حصلوا ما أرادوه . وكانهم كانوا يستعدون بهذه المعارف القليلة
لاستقبال ذلك الحادث الجسيم الذي جاء ليخرج اليابان من
الظلمات الى النور ويملا أرجاءها علما وحرية ويرفعها من هاوية
التأخر والانحطاط الى قمة السؤدد والعلاء

الانقلاب الحديث

علم القاري مما قدمناه ان بلاد اليابان لبثت مقفلة في وجود
الاجانب اكثر من قرنين وان ثغر « نجازاكي » كان الثغر الوحيد
الذي يصح لهم الدخول فيه وجلب متاجرهم اليه . وقد رأت
الولايات المتحدة في عام ١٨٥٣ ان ترسل أسطولاً مؤلفاً من
أربع بارجات حربية تحت قيادة القومندان « برى » لارغام
اليابان علي فتح موانئها وعقد معاهدة تجارية معها . ولم يكن
بين مارأت وما فعلت الا القليل من الايام شأن حكومات العمل
والارادة . وجاء الاسطول الامريكى الي ثغر « ييدو » ومع
قائده كتاب من رئيس الولايات المتحدة الي الشين متضمناً
مطالب دولته . فاضطرت حكومته اى اضطراب ووقعت
في حيص بيص وبعد ان فشلت في ارسال القائد وأسطوله
الي ثغر « نجازاكي » كما هي العادة اضطرت لطلب أجل طويل
لاعطاء الجواب . فنحها « برى » بضعة أشهر وقام باسطوله .

فانهزت الفرصة وأرسلت منشوراً الى الامراء تسألهم آراءهم
في هذه المشكاة الجديدة لانها رأت من الصعب عليها تحمل
مسؤولية فتح البلاد للاجانب وخافت العاقبة لما تعلمه من شدة
كرهة اليابانيين لهم . وقد زادت هذه الكراهة لطول عزلتهم
وابتعادهم عن بقية بلاد العالم . فجاءها الجواب من البعض بفتح
تغور معدودة لمدة ثلاث أو خمس سنوات ومن البعض الآخر
- وكان اكثر عدداً - بالرفض والاستعداد لمقاتلة الاجانب اذا
أصروا على طلباتهم . وكان البرنس « دي ميتو » في مقدمة
القائمين بهذا الرأي

ولكن الشجن خاف بأس الامريكيين وأمضى عند
عودة « بري » معاهدة بفتح تغري « شيموداوها كوداتي »
وبقبول قنصل أمريكي . ولم يصل هذا الأخير الا في عام ١٨٥٧
ولكن فرنسا وانكلترا والروسيا كانت قبل وصوله اقتدت
بالولايات المتحدة ونالت امتيازات غير قليلة من الشجن
وما انتشر بين اليابانيين خبر هذه القرارات والامتيازات
المنوحة للاجانب حتى هاجوا وماجوا وازداد سخطهم على

الشُّجُن وحكومته - التي كانت تعرف باسم « باكونو » - وبلغ الغيظ منهم غايته . وكان أشدهم حقداً واستياء فرقة الساموراي التي اعتبرت عمل الشُّجُن عاراً على المملكة واهانة للامبراطور ورأت في دخول الاجانب تديسا لارض اليابان المقدسة . وتحولت الانظار كلها نحو الميكادو الذي صرح بغضبه عندما علم بسلك الشُّجُن مع الاجانب وأمر بإقامة الصلوات في معابد « إيز » التي هي أقدم المعابد اليابانية . ولم يكتب بذلك بل دارت المخبرات السرية بينه وبين أحزاب الجنوب التي كانت تبغض عائلة « توكو جاوا » بغضاً شديداً وتكره الاجانب بكل توابعها ولما رأى الشُّجُن ان البلاد نافرة منه وان تصرّحه للاجانب بالدخول في بعض موانى اليابان أهاج أهلها عليه . أرسل من قبله رجلاً قادراً مشهوراً بالدهاء وقوة التأثير اسمه « لي كامون نو كامبي » لقمير الميكادو على اعطائه الاذن الرسمي بالتصرّيح . ولكن جماعة من الساموراي الذين كانوا بلا عمل قتلوه في عام ١٨٦٠ ونشروا للناس اعلاناً وطنياً بتبرير قتله . وهذه هي العادة في اليابان من أبعده الا زمان . وصار الشُّجُن

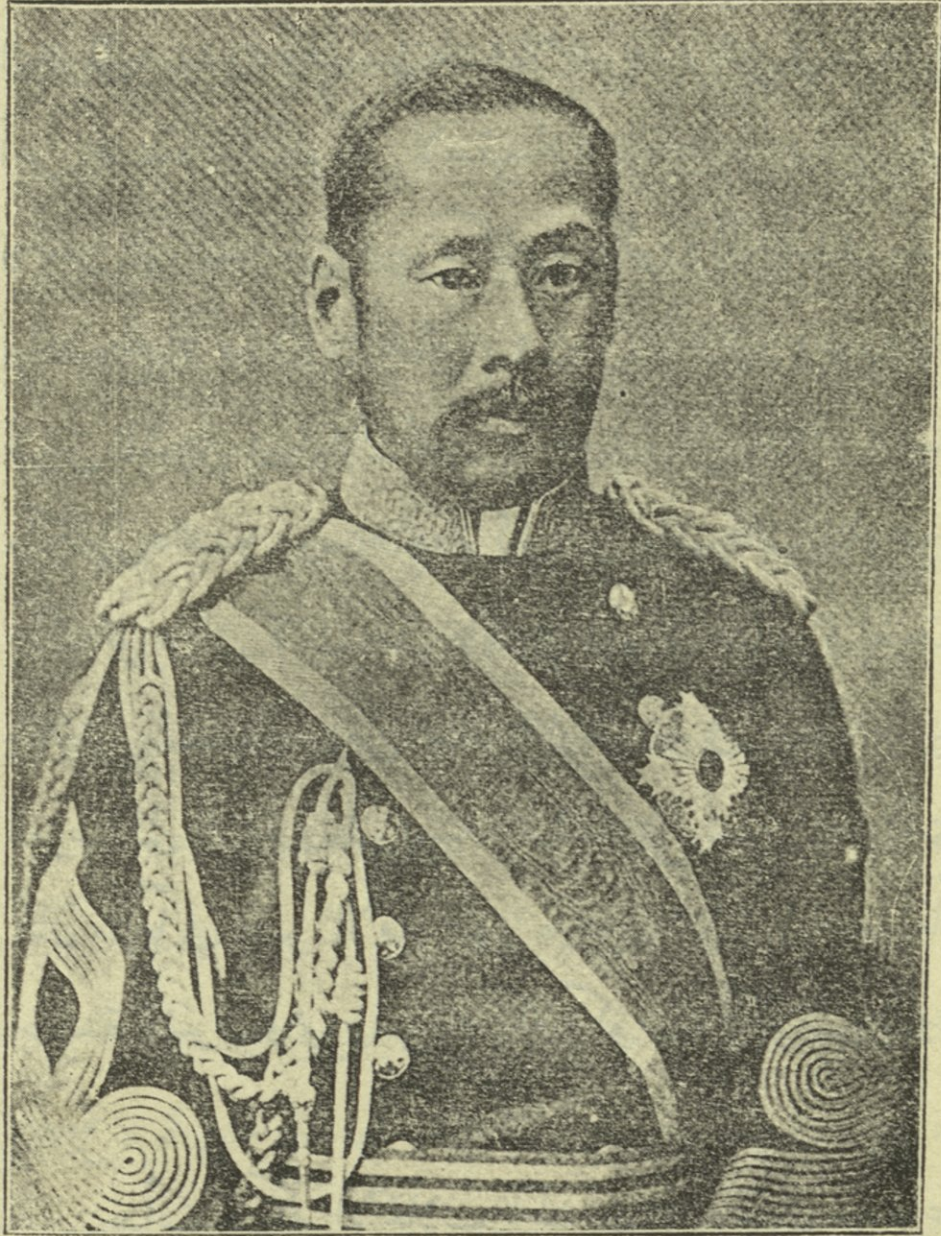
من ذلك الوقت بين نارين . نار الامبراطور الذي يأمره
بإرد الاجانب وناره هؤلاء الذين يشكون اليه اعتداء الالهالي
عليهم وقتلهم لبعض رجالهم حيناً بعد حين
وبقيت البلاد مدة ١٥ عاماً من سنة ١٨٥٣ الى سنة
١٨٦٨ تستعد للحادث العظيم الذي أحدث فيها انقلاباً لم يذكر
التاريخ لبني الانسان أغرب منه . وأخذ الناس في خلال هذه
السنوات يجاهرون بالعداء للشجن ويتآمرون ضده ويجمعون
في الطاعم ويتبادلون الافكار لقلبه وقلت ايراداته فأطلق
الاسرى ورد النساء اللواتي كن في خدمته من بنات الاشراف .
وتغيرت الاحوال ونادت الحوادث بان ما قبلته اليابان مدة
عشرة قرون سينزل في يوم واحد . وان سلطنة الميكادو هي
التي ستجعل للبلاد مقامها الرفيع بين الممالك والدول
وفي عام ١٨٦٢ زار أمير « شاتسوما » مدينة « كيوتو »
خلافاً للعادة وتعهد بحراسة مندوب من الامبراطور حامل
الأمر أصدرها للشجن يدعوها للحضور أمامه . فلبى الشجن
الأمر وظأطاً رأسه أمام مولاه بعد أن تعالى عليه مدة من

الدهر طويلة ونفذ ما طلب من عزل بعض الموظفين وترك
حكام الاقاليم يذهبون الى التزاماتهم مع عائلاتهم . وحضر
بنفسه في عام ١٨٦٣ الى « كيوتو » حيث سلمه الميكادو « كومي
تنو » - والد الميكادو الحالي - السيف في معبد اله الحرب ليترد
به المتوحشين أي الاجانب . وترددت زيارته حتى ضعفت ساطته
نوعا وصار الامبراطور يحصل مرتبه مباشرة من الاشراف
ويدعوهم للحضور الي كيوتو ويشغل فعلا بشؤون المملكة
ومما أطال حياة ساطة الشجن وحكومته بضع سنوات
أن أحزاب الجنوب كانت منقسمة علي بعضها وكان كل أمير
يسيئ الظن بأخيه توهماً منه انه يرمي الي الاستيلاء علي عرش
عائلة « توكوجاوا » . ولذلك حاول كل واحد منهم اغتصاب
الامبراطور لتكون السلطة بيده . ولكنهم أدركوا في آخر
الامر ان القوة في الاتحاد فاجتمعوا وأزالوا ما في النفوس من
ضغائن قديمة

ومما يجدر بنا ذكره في هذا المقام ان الميكادو « كومي تنو »
كان من أعقل الملوك وأشدهم تبصرا . وقد رأي من ابتداء

الحوادث التي سردناها انه لا بد لقومه من معرفة أسرار تقدم
أوروبا وماهية حضارتها ومدنيتها . فأرسل الرسائل اليها من
فقراء الشعب وأغنيائه وأوصى الشبان بأن لا ينسوا انهم يهجرون
الاهل والاطوان لتحصيل العلوم والعرفان لا للملاهي والغيد
الحسان . وكان بين آحاد تلك الرسائل الماركيز « إيتو » الذي
كان من الساموراي ولم يكن يظن أحد يومئذ انه سيكون
يومما اكبر ساسة بلاده وأحد عظماء الرجال في العالم كاه
وحدث ان رجال حاشية أمير « شاتسوما » قتلوا في عام
١٨٦٢ انكازيا اسده « ريشارسون » . فأرسلت الحكومة
الانكازية أسطولا الي « كاجوشيا » عاصمة ولاية هذا الامير
لتدميرها . وأطلقت المدافع عليها بالذخيرة وصرت في عام ١٨٦٤
من بوغاز « سيدونازاكي » رغماً عن مدافع أمير « شوشيو »
فتنبه اليابانيون من ذلك الحين الى وجوب استعارة قوى الغرب
لمقاومته بها والتسلح بأسلحته لرد غارته ودبت فيهم جميعاً روح
الغيرة والعزة الاهلية . وبعد أن كان الواحد منهم يظن قرينه
الوطن كاه صاروا يعتقدون ان المملكة بأسرها وطن لكل

فرد وانها مها تناءت أجزاؤها وتباعدت أطرافها يهههم سلامتها
على السواء ويؤلمهم تداخل أي أجنبي في أحقر قراها
أما الشجن « هيتو تسو باشي » فقد تضععت قوته وانحلت
عري سلطته. ومع انه جرد جيشا من ٧٠٠٠٠ مقاتل لمحاربة
أمير « شوشيو » الذي أعلن عليه العصيان ورفع في وجهه راية
الثورة فانه لم يفز الا بالخيبة والفشل. وبعد أن التمس من الميكادو
عقد مجلس من كبار « الدايمو » ووعد بالرضوخ لا واصره جمع
جيشه وترك مدينة « ييدو » الى « أوزاكا » وسار منها على
« كيوتو » بقصد الاستيلاء عليها. وكان الميكادو « كومي تنو »
قد مات في عام ١٨٦٧ وانتقل الملك الى ابنه الميكادو الحالي
« متسو ديتو » وهو في الخامسة عشر من عمره فساء اضطراب
البلاد وارتباك أحوالها وأصدر منشورا لرعاياه المخلصين دعاهم
فيه الاجتماع حول رايته لرد الشجن المغتصب لقوة الملك
وتوحيد الحكومة وجمع كلمة الامة. فلبته الاصوات من كل
مكان وازدهمت العاصمة بأنصاره وتآلف جيش باسم « جيش
العقاب » تحت قيادة الامير « اريزوجاوا » من أقارب الميكادو.



— * الأمير « أريزوجازا » * —

وبعد واقعة دموية انتصر جيش العقاب وفر الشجن هارباً بطريق
البحر الى « ييدو » وفيها سلم نفسه بلا شرط. وانتهى في عام ١٨٦٨
أمر هذه الحكومة الاستبدادية القائمة على دعائم الخيلة
والغدر التي تشبه من وجوه كثيرة حكومة الممالك في مصر
وبخضوع الأدميرال « إناماتو » في جزيرة « يزو » عام ١٨٦٩
لم يبق للشجن في اليابان نصير واحد. ونقل الميكادو عاصمة
ملكته إلى « ييدو » وسماها « طوكيو » أي العاصمة الشرقية وهجر
« كيوتو » التي كانت مقر عائلته في أيام الانحطاط والضعف
وتلاشى السلطة. ومن ذلك التاريخ أخذ في ادخال مدينة
الغرب الى بلاده ونظم معيته وحاشيته على نسق النظام الذي
كان متبعاً في قصر الامبراطور نابليون الثالث ووضع القاباً
جديدة للشرف وهي برنس ومركيز وكونت وفيكونت وبارون

*
**

بدأت حركة الانقلاب الحديث في اليابان مدفوعة
بعامل كراهة الاجانب والنفور منهم والاستياء من ترك
البلاد لغزلتها ثم مالبت حتى تحول تيارها ووجهت في

طريق الاصلاح والتمدين لمقاومة أولئك الغرباء الذين ضربوا
الشعور بمدافعهم وأرغموا الامة على قبولهم وأنذرت مقدمات
سلوكهم بسوء النتيجة

فالمحرك الوحيد لليابانيين في نهضتهم ضد الاجانب أولا
ثم في سيرهم هذا السير السريع في طريق المدنية ثانيا هو حبهم
الشديد لوطنهم وتفانيهم في سبيل سؤدده ومجده . وقد
ظهرت هذه الوطنية الراقية في أجلي وأجمال مظاهرها يوم
أسس الميكادو حكومته النظامية ورأى الاشراف وأصحاب
الالتزامات والساموراى ان مصلحة بلادهم تقضى بزوال
تلك الحواجز التى كانت بين طبقات الشعب وبعضها وايجاد
المساواة بين كافة الافراد وان النظام الحديث يجب أن يكون
مخالف للنظامات القديمة . فتقدموا جميعا عن طيب نفس لاديكادو
متنازلين عن حقوقهم وترك الاشراف الاراضى للزراع مقابل
ما أعطته الحكومة لهم من المال . ونسى الساموراى امتيازهم
القديم ودخلوا في جمهور الامة . وتخرج منهم الجندى الباسل
والبجرى الماهر والموظف الامين والسياسى المحنك والكاتب

البليغ والخديب المؤثر والزارع القوى الذراع. ودبت في الامة
حياة جديدة وعمتها روح بشر وقوة. وتكاتف الصغير مع الكبير
والفقير مع الغني لاسعادها واعلاء شأنها. ولم يأنف الامير
من مخالفة الوضيع حبا في المصلحة العامة. ورأى الاشراف
بعيون النرح والارتياح أبناء اتباعهم الساموراي يقودون
أزمة الحكومة والدولة ويسوسون أمورها في الداخل والخارج
وهو حال لا يبلغ الانسان اذا قل انه لم ير ولم يرو. وأى
وطنية أرقى من هذه؟ تلك الوطنية التي يضحي المرء لاجلها
الامتيازات الموروثة من قرون وأجيال والحقوق المقررة
والسكاة النافذة والمقام العالي. تلك الوطنية التي جمعت أمر
شعب كان شعوبا وأمراء كانوا متنافرين متباغضين. تلك
الوطنية التي نقلت القوم من عصور الجاهلية والظلمات الى
زمن المدنية والنور والرشاد

ومما ضاعف هذا الشعور ان اليابانيين لبثوا من أول
أيامهم الي هذا اليوم يقدسون الميكادو ويعدون له سليل الآلهة
ولا ينظرون اليه الا بالتبجيل والتعظيم. ما طوحت بهم

زوابع السياسة وعواصفها . فلما قاموا من عميق رقادهم ونهضوا
من غفلتهم وعزلتهم رأوا أمامهم رجلا لم يجلس على العرش
ويقبض بيده على صولجان الملك لينتقم لعائلته وبيتته من اهل
عشرة قرون ويستبد بالامر . بل ليقود شعبه الي أرقى
غايات الحضارة والمدنية والرفاهية والقوة ويريه انه لا يجد
السعادة والسيادة الا في ظل رايته . وهكذا اذا اجتمع جلال
الملك بالمقاصد الحميدة عاشت الرعية في مجبوحة الرغد والهناء
وخنقت فوق الرؤوس ألوية العظمة والعلاء

وقد أتى اليابانيون في نقلهم مدينة الغرب الي بلادهم
بما أتوه في القرنين السادس والسابع في نقل مدينة الصين .
فأرسلوا الارساليات الي أوروبا وأمريكا واستعانوا بعلمائها
وأخذوا قوانينها وأقاموا نظاما يشابه نظامها . وجندوا الجنود
على طرازها وأنشأوا البوارج في البحر كأحسن بوارجها
وتزيوا بزئها . وحافظوا على المركز القديم للمرأة في الهيئة
الاجتماعية مع منحها حرية الاجتماع . ثم أخذوا بعد ذلك
يبحثون فيما يوافقهم ومالا يوافقهم . وهجر الكثيرون ممن ليسوا

في الحكومة ملابس الغرب مفضلين الازياء القديمة لبلادهم
وخيراً فعلوا

ولست ملكة التقليد وحدها هي التي سهلت لليابانيين
في عهد المدينة الصينية وفي هذا العهد الاخير نقل معارف
الاجانب وعلومهم الى بلادهم . بل أيضاً ميلهم الشديد لكل
جديد وشغفهم بكل أمر مجهول وتطلعهم لحوال العالم وما
يجرى فيه . وفوق ذلك كله رغبتهم الكبرى في جعل وطنهم
أسعد الاوطان وأرفعها ذكراً وأكرمها مقاما

ولذلك لا عجب اذا كانوا خطوا في خمسة وثلاثين عاما
تلك الخطوات الواسعة وأدركوا ذلك الشأ الذي نغبطهم عليه
وننظر اليه باعجاب واكبار

الميكادو

الميكادو وعائلته . أخلاقه وفضائله . أعماله
هو « متسوهيتو » أكبر ملوك اليابان مجدا وأرفعهم
ذكرا وأعزهم شأنا . مخرج المملكة من غياهب الجهالة
والأنحطاط ومنقذ بلاده من خطر التداخل الاجنبي والسيادة
الغريبة . ومعيد عظمة الشرق ومحبي دارس رفعته وواهب
الدستور لشعبه بأرادته . وحامل لواء الحرية ورافع منارها
هو الملك العادل الحازم القادر القاهر المدبر الحكيم
الذي مهما وصنه الكتابون وبالغ في نعته الواصنون
لا يدركون الحقيقة ولا يوفونه حقه من التجلة والاعظام .
وكيف لا وهو الملك الوحيد الذي ملأ أرجاء بلاده عدلا
وحرية غير مقهور ولا مسير . الذي منح أمته الدستور وتنازل
لها عن جزء من حقوقه بدون أن تسنك في البلاد نقطة من

الدماء أو يرتفع في وجهه صوت بمطالبة . الذي أدرك في حياته ما لا يحلم أكبر القياصرة والملوك . يبلوغه في قرن كامل . الذي لم تغره عظمة مقامه ورفعة مكانه ونسبته للآلهة وعبادة أمته له . الذي لم يبعده صولجان الملك وجبروت الحكم عن الطريق السوي والصالح العام . الذي ضرب ملوك الأرض وأمبراطية الزمان مثلاً أذهل منهم العقول وأدهش الالباب وجعلهم في حيرة من أمره . الذي جني ثمرات غرسه بنفسه ورأى قومه فائزين منصورين في البر والبحر غالبين في كل ميادين الحياة بفضل همته وسهره الليالي والايام . الذي أخرج لليابان رجالاً عظاماً لا يحاكي دهاءهم وذكاءهم وسوء آرائهم الا حبهم لبلادهم وشعورهم بانهم مدينون لها بكل لحظات العمر ونسبات الحياة

فأكرم بهذا الملك الذي لو لم يكن لليابانيين من المفاخر الا انه ملكهم لكفاهم شرفاً ونفراً

ولد « متسوهيتو » في مدينة « كيوتو » يوم ٣ نوفمبر عام ١٨٥٢ أي انه يبلغ الآن من العمر ٥٢ سنة وهو الولد الثاني

للأمبراطور « كومي تنو » والامبراطورة « فوجيوارا أزاكو »
وقد تولى الأمر بعد أبيه لموت أخيه الأكبر . وأعلنت
ولاية العهد له في ١٠ نوفمبر عام ١٨٦٠ وارتقى العرش بعد وفاة
والده في ١٣ فبراير عام ١٨٦٧ وتوج في مدينة كيوتو يوم ١٢
اكتوبر عام ١٨٦٨ والبلاد خارجة يومئذ من عهد حكومة
الإشراف والالتزام الى العهد الجديد . وهو الميكادو الثالث
والعشرون بعد المائة . وفي يوم ٢٣ من شهر اكتوبر لعام
توليته أطلقت لقب « مييجي » على حكمه . وهي عادة قديمة عند
اليابانيين والصينيين . يطلقون على كل حكم لقباً خاصاً به
ويعتبرونه دليل استقلال الدولة

ولفظ « ميكادو » معناها في اللغة اليابانية « الباب العادل »
ولا يستعملها اليابانيون الا في الشعر وهم يعبرون عنه باسماء
مختلفة منها « تنسي » أي سليل السماء . و « كوتاي » أي الأمير
و « شنجو » أي السيد الأعلى . و « تنو » أي الامبراطور
الأله . ولكن الحكومة تكنتى بلفظ « امبراطور »
واقترن الميكادو في ٩ فبراير من عام ١٨٦٩ بالأميرة

« هاروكو » ويسمىها الشعب « امبراطورة الربيع » لجمالها
ورقتها وزارفها وجلالها . وهي مولودة في ٢٨ مايو عام ١٨٥٠
أي انها أكبر من الميكادو بأشهر قلائل . وهي من سلالة بيت
« إيتشيجونا داكا » . وهو قديم في الشرف ومن الصف الأول
في العائلات الكبيرة

ولم يرزق الميكادو من الامبراطورة بأولاد . ولكن لما
كانت عادة التسري موجودة في اليابان كبقية بلاد الشرق فقد
اتخذته جملة سراري رسمية أشهرهن « هامورو . وميتسوكو
وهاشيموتو . وماتسوكو . ويانا جيوارا أيكو . وتشيجوزا
تاداكو . وسونوياشيكو » وهن محترمات كثيراً ويعاملن بغاية
التبجيل

وقد ولد للميكادو منهن ثلاثة عشر ولداً خمسة ذكور
وثمانى اناث . ولكن أربعة من الذكور ماتوا ولم يعش الا
الولد الثالث وهو « يوشى هيتو » ولى العهد الحالى . وقد ولد
في ٣١ اغسطس عام ١٨٧٩ وأعلن وارثاً للملك يوم ٣١ اغسطس
عام ١٨٨٧ أى عند اتمامه الثامنة من عمره ووليا للعهد يوم ٣



— * الامبراطورة « هاروكو » * —

— 17 —



— 18 —

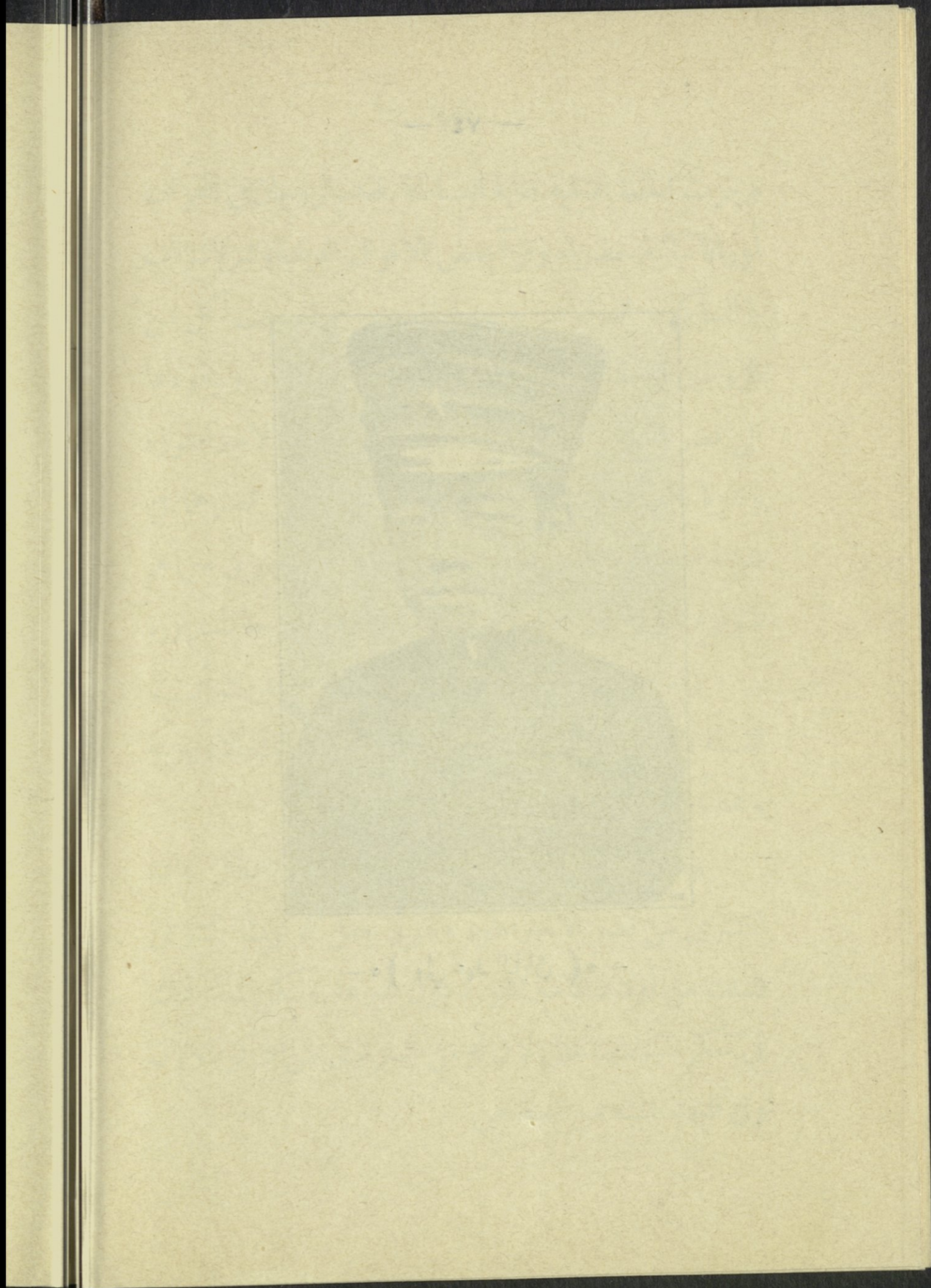
نوفمبر عام ١٨٨٩ واقترن في ١٠ مايو من عام ١٩٠٠ بالأميرة
« سادا » ورزق منها غلاما ذكر في ٢٩ أبريل عام ١٩٠١
وكانت العادة قبل الانقلاب الحديث ان الميكادو يتزوج
في قصره بلا احتفال رسمي وبغير حضور رجال الدين أو
رجال الدولة . فقرر المجلس الذي عقد في سنة ١٨٩٨ تحت
رئاسة المركز إيتو لوضع نظام خاص بالعائلة الامبراطورية
اعلان الزواج رسميا . ولما اقترن ولي العهد جرت الرسوم
الجديدة فترك الزوجان قصرهما في الصباح مبكرين وذهبا
عن طرق مختلفة الى قصر الامبراطور . وكانت الاميرة
« سادا » لابسة الملابس اليابانية القديمة الخاصة بكبيرات
نساء البلاط الامبراطوري ووصلت قبل ولي العهد بنحو نصف
ساعة اظهارا لتمييز الرجل على المرأة . وكان الامير بزيه الياباني .
وبعد ان استراحا قليلا في القصر قصدا معبد « سينوتاف »
وتقدم رئيس التشريفات أمام الامير وتبعه أحد رجال الحرس
الامبراطوري حاملا للسيف المقدس . وتقدم الاميرة أحد
رجال التشريفات وسار بجانبها سيدات من رفيقات الشرف .

وجرت الخنقة الدينية بغاية البساطة . فقدم الزوجان في المحراب
أوراقا نباتية خضراء وقرأ بعض الاقوال الدينية وشربا شراب
« الساكي » الذائع شربه بين اليابانيين . ثم انسحب كل من
الزوجين الي قاعة وغير الملابس اليابانية بأخرى أوروبية وعادا
الي قصر الميكادو حيث هناهما جلالتة وجلالة الامبراطورة
وشربا كالعادة « شراب التهانى » ثم توجهها الي قصرهما في
عربة امبراطورية يجرها أربعة من جياد الخيل مارين من أهم
شوارع المدينة بين الالوف المؤلفة من الجماهير النرحة المسرورة
وقد قضى نظام بيت الملك في الدستور الحديث أن
النساء لا يحكمن اليابان متبعاً في ذلك نظام أغلب الممالك الاوروبية
ومخالفًا النظام القديم لليابان

وقد كان بعض عقلاء اليابانيين يودون ابطال عادة
التسرى من قصر الامبراطور وتقرير جعل الوارث الشرعى
للملك من اولاد الامبراطورة دون غيرها . ولكن تعذر ذلك
في حكم الميكادو الحالي لان له من السراى من ذكرنا ولان
ولى العهد نفسه من احداهن



— ☆ ولي عهد اليابان ☆ —



ويقضى نظام بيت الملك كذلك ان الوارث للعرش يكون
الولد الاكبر وسلالته . فاذا مات أو انقرضت سلالته ينتقل
الملك لاختوته فأولادهم . ومن بعدهم لاختوة الامبراطور
فاولادهم ثم لاعمام الامبراطور فاولادهم ثم لاقرب الامراء
للميكادو

*
* *

أجمع الكتاب والسياسيون الذين قابلوا الميكادو على انه
وديع الاخلاق حليم - وترجمة اسمه « متسو هيتو » الرجل
الحليم - لطيف جذاب . وأن ملامحه وحرركاته وأتوالة تدل على
ارادة حديدية وهمة لا تعرف الملل ولا الكلال وذكاء وقاد
وتبصر وتأمل وقوة في الخاطر والشعور . وهو على جانب
عظيم من الشهامة ميال للعدل مولع بالاعمال العظيمة والتروسية
وتضحية النفس في سبيل الوطن . ورغماً عن تمجيد رعاياه له
ذلك التمجيد الذي لا يختلف عن العبادة فانه غير مغرور بنفسه
ولا يلقب عائلته « تنو » الذي معناه « الامبراطور الاله »
فهو يعمل كبقية رعاياه ويتعب كثيراً . ولو كان يظن في

تفسه الانهوية أو ما يقترب منها لما أنهك قواه الى هذا الحد
في شؤون أمته وكل ما يعود عليها بالخير والرفاهية . ولكنه اعتقد
من صغره ورباه أبوه على هذا الاعتقاد بان الملك لا يكون
كبيرا عظيما قويا محترما من أمته ومن بقية الأمم الا اذا نهض
بالمملكة وأوصلها الي أسنى مقام يليق بها . فلم يترك شيئا حتى
يبحث فيه بنفسه ولم يشرع في أمر حتى دقق النظر فيه .
ودرس أحوال أوروبا وسير حكوماتها وأسباب تقدمها دراسة
تامة وأحاط بأمور جنديتها وبحريتها إحاطة كاملة وتلقى علي
العرش المبادئ الضرورية لتسيير سفينته الحكيم الي شاطئ
السلامة . ومقدرته على العمل هائلة لا يفوقها الا جلد و صبره . وقد
يقضى الساعات الطوال علي مكتبته لتلاوة تقرير أو مناقشة
وزير من وزرائه في أمر هام . وهو يستشير كثيرا « مجلس
القدماء » الذي شكله من كبار الخدمة السابقين للدولة وكلهم
مجبون يعول علي آرائهم

ومن صفاته انه جسور شجاع يحب ركوب الخيل والرمية
ويقول من الشعر أجوده وأبلغه . وهو لم يخش تحمل المسؤولية

بنفسه في أمور كثيرة وتغطية أعمال وزارته التي لم يكن الشعب يعرف غايتها بستر الملك . وهو يقود أزمة بلاده غير خائف خطر هذه السياسة لعله برشادها وصلاحتها لقومه . ويعتبره أكبر وزراء اليابان رجلا من عظماء الرجال ويقولون انه لو لم يكن الميكادو لكان أعظم ساسة المملكة

وتراه اذا حضر استعراضا عسكريا يبدي لوزير الحربية أدق الملاحظات ولا تهمة الرسمية ومظاهر التعظيم بل يقصر نظره على سير الجنود وحركاتها . واذا أعجبه أمرهم تقدم اليهم بنفسه وخاطبهم بأرق العبارات المشجعة التي يحنظونها وينقلونها الي أولادهم ويعدون لها أشرف ما نالوه في الحياة وقد اعتني بتربية ولده الوحيد وولى عهده عناية كبرى وطاب من أساتذته أن يجعلوه جديراً بقيادة أمته التي يسميها «أقوي أمة في الشرق وأشرف شعب في العالم» فنشأ كأيامه مقدرًا عظمة الملك حق قدرها عالما بمسؤولية الحكم ومركز اليابان بين دول الأرض وتعلم من اللغات الأجنبية الفرنسية والانكليزية ودرس التاريخ بعناية واهتمام . وأظهر حبا لمعرفة كل جديد

وشغفا بمستقبل أمته وورقيها. وقد خاف الميكادو وعائلته علي صحته في طفوليته ولكنه صار الآن قويا يتحمل ركوب الخيل الساعات العديدة ويحضر المناورات الحربية ويتبع سير الجنود باعتماد فائق ويشركه والده معه في تقرير المسائل المهمة وحل المعضلات ويعوده علي السياسة ويدربه علي الحكم ويعرفه بأسرار الدولة. وبالجملة يعده لأن يكون خير خلف لأعظم امبراطور تولى أمر اليابان منذ خمسة وعشرين قرنا مضت الي اليوم

*
* *

لم يجلس الميكادو علي عرش آباءه العظام حتى وجه همته لترقية مملكته واعلاء شأن شعبه وصرف نفيس وقته وماله في جعل اليابان قوية في الداخل والخارج حرة سعيدة ممتعة بالعدل والعدوان . واذا كان أسعد الزمان بتحقيقت أهم أمانيه وأسمى مقاصده في حياته فانه لا يجوز لاحد من الرعاة أو الرعية أن يحسده علي مانال من نعمة دونها كل النعم . فهي المكافأة الحقة والجزاء العادل . لانه اشتغل بكل فرع من فروع الحياة وله الايادي البيضاء في كل ارتقاء . وما من حسنة يراها الانسان

في اليابان أو عمل عظيم يعجب به إلا وهو غارسه ومنبته وحافظه
وقد جمع في أوائل عام ١٨٦٩ أي بعد ارتقائه العرش
بأشهر معدودة أعضاء أسرته وكبار رجال مملكته في قصره والتي
عليهم خطبة تردد صداها من شمال اليابان الي جنوبها ومن
شرقها الي غربها حيث أقسم فيها بأن يقوم باجراء كافة
الاصلاحات ومراعاة الحقوق الشخصية واعلان سيادة العدل
على الجميع . وهي أول خطبة ألقاها في حياته وقد قال فيها
ما ترجمته :

« انى أعلم أن لارقي بلا عدل . وان العدل أساس الملك .
وأقسم بشرفى وشرف أجدادى انى سأبذل جهدى في توطيد
دعائم العدل والسير ببلادى في طريق الرقى والنعيم . وأن تكون
البلاى محكومة بمقتضى دستور وهىئة نيابية . وأن تنفذ المشروعات
النافعة والقوانين باشتراك الحكام والمحكومين . وأن استميل
بقدر ما فى الامكان الاشراف وأصحاب الامتيازات حتى يفضلوا
الحكومة الجديدة على القديمة . وأن تترك الاوهام والعوائد
الضارة لتكون العدالة هى القوة الفعالة فى البلاى . وأن

تستمد الافكار الجديدة من العالم كله ليزداد مجد المملكة
واعلموا ان هذا اليوم هو أول أيام الترقى . وان لى أملا كبيرا
في مستقبل اليابان وأن أراها سيدة الثقين ورافلة في حلة من
العز والسعادة »

وقد كان هذا الخطاب كمعول لبناء التأخر والانحطاط
فأخذت الهمم تنمو والعزائم تقوى وترتبط واندفعت اليابان
بقوة في تيار التقدم العصرى . ونفذ الاصلاح الداخلى فيها بالغاء
الالتزامات وحقوق الاشراف في عام ١٨٧١

وقد أظهر الميكادو وعناية زائدة بكل أمر حيوي من أمور
بلاده . فخرج في أول يناير عام ١٨٧٢ لزيارة الاسطول الذي
كان لا يعتد به يومئذ بجانب أساطيل الدول الاخرى . وعد
الناس خروجه من قصره حادئا خارقا للعادة فلم يبق في « طوكيو »
شيخ ولا شاب ولا امرأة ولا فتاة ولا كبير ولا صغير حتى
هرع لرؤيته . ولما وصل الى مدينة « يوكوزاكا » وزار دار
الصناعة البحرية فيها وتفقد الاسطول أعجبه كل شئ وأظهر
مزيد ارتياحه مما رآه . غير انه حدث انفجار في مرجل مملوء

بالحديد السائل أثناء مروره فوق بعض النقاط على ملبسه
فأطرق برأسه قليلاً ثم تبسم وقال لافراد أسرته وعظاء دولته
الذين كانوا في معيته : « يظن القوم أنني إله معبود وما أنا إلا بشر
مثلهم تفوق أعمالي أعمالهم بالحكمة والسداد »

ومن ذلك الحين كثرت زيارته للمدارس والمعامل
والمشككات ومصالح الحكومة وصار مثالا للنشاط والجد
واحتقار الترف والجنول وفي شهر ابريل من ذلك العام زار الميكادو
المدرسة الكبرى بطوكيو واختبر تلاميذها بنفسه وأدهش
الحاضرين بأسئلته وحدث الفقراء والاغنياء من الطلاب على
السواء وحضهم على تحصيل العلوم لخدمة الوطن وإسعاده
وتأييد الوطنية وبشها في النوس . وقد أحدثت كلماته تأثيراً
سحرياً لان اليابانيين لم يعتادوا سماع مثاها من ملكهم الذي
كان لا يتكلم الا في قصره وبكلمات معدودة . ولما خرج
من المدرسة وجد الطريق مسدوداً من ازدحام الجماهير العديدة
التي تركت دورها لرؤية امبراطورها العظيم

وبعد ذلك أصدر أمراً باجتماع كبراء المملكة في قصره في
جلسة استثنائية وأبان لهم رغبته في غرس العلم الصحيح والآداب
الراقية في البلاد فأنحنوا أمامه شكرياً العواطفه . وتقرر تأسيس
كلية تسمى « الكلية الامبراطورية اليابانية » وإرسال النابغين
من أبناء النخوة مع أولاد الاغنياء الي بلاد أوروبوا وأمريكا بعد
أن يتموا العلوم ببلادهم . وقد أنفق الميكادو من ماله الخاص
علي الكثيرين منهم ولم يدخر شيئاً في سبيل ايجاد الرجال ذوي
الافكار الرشيدة والمعلومات الواسعة والهمم العالية . ولا نبالغ
إذا قلنا ان اليابان مدينة له بأكبر ساستها وفحول رجالها
ولما وضع الحجر الأول من بناء الكلية الامبراطورية
أعدت الحكومة اليابانية احتفالاً فخماً حضره الامراء والعظماء
بملابسهم الثمينة اليابانية وأقبل الامبراطور عندئذ في موكب
لم ير له مثيل من قبل حيث شوهد تغيير عام في كل شئ . فرأى
الناس الجند بأزياء غربية متقنة والميكادو في حلة قائد غربي وعلي
صدره وسام « الشمس المشرقة » خلافاً لعادة أجداده الذين كانوا
يضعون الوسامات علي رؤوسهم

وبعد ان رحب به وزير المعارف وهو ساجد بين يديه وأمل السعادة للبلاد في حكمه . التفت الى الحاضرين وقال :

« ربما أدهش رجال ونساء وأطفال مملكتي اعتنائى الشديد بتشديد دور للعلم . ولكني أقول لهم ان أرض بلادنا تسع عظمة ممالك الارض ونفوس أمتنا صيغت من ترابها . فلم لا تكون اليابان مصدر العرفان ونحن من سلالة أقدم قياصرة في العالم . وانه لا بدلى من تنفيذ آمالى ونشر المدارس والمعامل في انحاء البلاد وايجاد مصدر مدرعة بالعرفان تقي الاوطان شرطوارىء الحدثان وتبعث الحياة في جيراننا وكل من يريد الاقتداء بنا والاستفادة منا . واننا لانستطيع ان نحدد عدد آلات الرقى التى سننشئها ولكننا يمكننا ان نؤكد ان ماسيدني من دور للعلم فقط لا يقل عدده عن عدد الحجارة التى ستشيد بها هذه الكاية . فاهناؤا واسعدوا واعملوا معنا لرفعة الأوطان »

وما انتهى من خطابه حتى هتف القوم له بالدعاء ودون

أصواتهم قصف المدافع ودوى الرعد في السماء
ولما حرقت مدينة طوكيو في ٣ أبريل من تلك السنة
نفسها (١٨٧٢) ودمر منها نحو ٥٠٠٠ بيت أظهر الميكادو همة
شما في الأخذ بأيدي الفقراء والمحتاجين ونظمها تنظيماً بديعاً
وفي ذلك العام عزل الموظفين الغير اللاتئين وعين المتعلمين
واتخب المسيو « كاتسو » وزيراً للبحرية وهو الذي وضع
النظامات الأولى لها والخطط التي اتبعتها في رقيها وزيادة
عدد بوارجها وجعلها على نسق البحرية الانكليزية مستعينا
بأراء الماركيز « إيتو » الذي يعتبر التاريخ الحى لليابان الحديثة
وترك الميكادو مدينة طوكيو في أواخر يونيه من تلك السنة
الحافلة بالحوادث المهمة والاصلاحات الكثيرة وركب باخرة
يقودها المسيو « كاماتسو » الذي تخرج من مدارس هولانده
بقصد زيارة جزيرة كيوشيو . وهي أول مرة من اثني عشر قرناً
ترك فيها الميكادو عاصمة ملكه . وبعد زيارته لهذه الجزيرة قصد
مدن نجازاكي وأوزاكا ونارا كيوتو وغيرها ثم عاد الى العاصمة
في ١٤ اغسطس

وفي هذا العام أيضا مدت السكة الحديدية بين طوكيو
ويوكوهاما وحدث بها ارتفاع كبير في التجارة وحركة المعاملات
وأرسلت الحكومة سفيرين وثلاثة قناصل للخارج
وفي سنة ١٨٧٣ قرر الميكادو جعل الحساب الجري مجوري
رسمياً في المملكة . وفي سنة ١٨٧٤ أرسل تجريدة الى جزيرة
« فورموزة » المشهور قرصانها بقوة البأس والشجاعة واكل
اللحوم البشرية . وطالما تحطمت المراكب العديدة بجوار
هذه الجزيرة . ولكن الميكادو بعث المهندسين الماهرين
فوضعوا فيها المنارات لارشاد السفن . ولم يمض الا زمن
قليل حتى احتلتها جنوده ونشرت ألوية السكنينة فيها وانجلمت
عنها بعدان دفعت الصين لليابان التعويضات المالية الكافية
الوافية

وفي سنة ١٨٧٦ قرر الميكادو الغاء حمل السيفين وهي
العادة التي كانت تميز الساموراي عن غيره من الاهالي وبذلك
تم اتحاد الأمة وعمت المساواة بين سائر الافراد
ولم يحقق الميكادو رغائبه بسهولة ويدخل الاصلاح في

بلاده بغير معارضة أو مقاومة بل وجد صعوبات تستحق الذكر
أهمها ثورة «ساجا» في عام ١٨٧٤ و ثورة المارشال «سايجو»
في «ساتسوما» عام ١٨٧٧. وقد قامت ضد النظمات الأوروبية
واضطر الميكادو لاختمادها وهو آسف على قيام المارشال
«سايجو» في وجهه لانه كان أكبر أعوانه في تقويض معالم
سلطة الشجن فضلا عماله من المكانة السامية في نفوس
اليابانيين جميعا. وقد جرح المارشال في الواقعة وأمر انصاره
أن يريحوه من الحياة فقتلوه في ٢٤ سبتمبر من ذلك العام
ونظراً لما كان عليه من الشهامة والوطنية الصادقة
التي ظن معها ان دخول النظمات الاوروبية في البلاد مجلبة
للشر والوبال ولم يدرك مقاصد مولاه أصدر الميكادو أمراً
في عام ١٨٨٨ برد ألقاب الشرف والوسامات اليه أي بعد
موته بأكثر من عشر سنوات. وهي عادة قديمة في اليابان
تسمح للميكادو بأن يمحو من حياة أي انسان ما أساء سمعته
بين بني وطنه

وبموت المارشال «سايجو» مات الحزب القديم

وانتهت مقاومة الاصلاح

وفي عام ١٨٨٠ نشرت القوانين الجديدة. وفي عام ١٨٨٩ أعلن الدستور فالشرحت الصدور وابتهجت الخواطر ودخلت الامة في دور جديد كاه حرية وسعادة وتوطدت أساسات الحكومة وتحددت ساطتها وحقوقها كما وضحت حقوق الشعب وواجباته . وفي ١٨٩٤ حاربت اليابان الصين ورأى الميكادو ثمرات جهاده في ترقية الحرية والبحرية وأخذ العالم المتمدن ينظر الى بلاده نظرة فيها شئ من الاحترام والاكرام بعد ان كان يعدها في مصاف بقية الممالك الشرقية . وفي عام ١٨٩٧ قرر الميكادو تداول العملة الذهبية في مملكته . وفي عام ١٨٩٨ نشر القانون المدني ونفذت المعاهدات الجديدة التي أبرمت بين اليابان والدول الاجنبية ومحيت فيها الامتيازات الدولية القديمة وصار الاجنبي يعامل في دولة الميكادو بمقتضى قوانينها ويحاكم أمام محاكمها

وفي عام ١٩٠٠ اشتركت اليابان مع الدول الاوروبية في انقاذ السفارات الدولية بيكين وأظهرت جنودها من

البسالة والاقدام والنظام ما أدهش الغرب والشرق وأبان
للعالم كله كفاءتها واستعدادها حيث دخلت عاصمة الصين
كتفما لكتف مع الجنود الروسية قبل جنود الدول الاخرى
ولم ترتكب فظيعة واحدة باعتراف سفراء أوروبا وروسيا
وفي عام ١٩٠٢ أمضت حكومة الميكادو معاهدة التحالف
الانكايزي الياباني وأخذت بذلك مركزاً مخصوصاً بين الدول
واعترفت الكل بمقامها وقوتها . وهاهي الآن تحارب روسيا
وتظهر للعالمين من آيات القوة والتدبير والوطنية والشجاعة
ما يبحر العقول ويحمل الأعداء على الاعتراف لها بهذه
المزايا الجميلة الجليلة التي قصرت في ادراكها دول تنتهي اليها
ضخامة الملك وعظمة الساطان . وأى منفرة لليابان أكبر من
قول أشد أصدقاء الروس وأكبر حلفائهم . « اننا نتصبر للروس
ونعجب باليابان ! »

نعم يجب على كل ذى شعور عال واحساس رفيع أن
يعجب بأمة هذا حالها وتلك خلاها وفي أبنائها وطنية تنقل
الجمال وحمية تدك الرواسخ ونفوس تدفع بعشرين ألف واحد

منهم لأن يتقدموا فرحين مبتهجين لسد مدخل بور آرثر
وليس بعجيب أن يكون الميكادو «متسوهيتو» هو ملك
هذه الأمة وقائدها ومرشدها . فقد قال النبي عليه الصلاة
والسلام: « كما تكونوا يولى عليكم » . فصفاته من صفاتها وأخلاقه
من أخلاقها وأمياله من أميالها وعواطفه من عواطفها . وبفضل
نخوته ووطنيته رأت اليابان أولئك الرجال العظماء الذين رفعوا
ذكرها وأعلوا شأنها وبنوا لمجدها وعظمتها وسدوها ببناء لا تمسه
يد الزمان

وان الحاسب ليعجز اذا أراد أن يحصى ما أنفقه الميكادو
في سبيل ترقى بلاده . فهو لا يعرف للمال الا مزية واحدة
وهي إيجاد الرجال وإحياء الأمة . ولذلك كان أول جواد في
وطنه خير وطنه شأن الملوك العارفين لواجباتهم
ولما وضعت حكومته بارشاده مشروع زيادة القوى
البحرية عقب حرب الصين عرضته على مجلس النواب فأبى
الموافقة عليه لكثرة ما تحمات الأمة من ضرائب . فحملت الوزارة
جواب المجلس الي الميكادو وهي في حيرة وارتباك فتقبله

متبسما وأخذ ورقة وخط عليها أعداداً ثم التفت الى وزرائه وقال
« المجلس مصيب في رأيه . ولكن لا بد لنا من تنفيذ مشروعا
وقد رأيت اني لو خصصت عشر مرتبي ومرتب عائلتي واقتدى
بقية الموظفين بي لكان ماأردنا بدون زيادة الضرائب »
وبالفعل تنازل عن عشر مرتبه ومرتب عائلته وماخير الموظفين
في الاقتداء به حتى فعلوا جميعا وهكذا تم في عهد من العظام
مالا يجاريه فيه أحد من المتقدمين والمتأخرين . ولو أتاح الله
النصر التام على الروسيا لتوج حكمه بالتاج الذي يستحق
وانه يحق لكل فرد من دولة هذا ملكها وعلى مبادئه
يربي ابناءؤه وأبناؤها أن يقول بملء فيه : « لن تبيد هذه أبدا »

أَعْوَانُ الْمَيْكَادُو

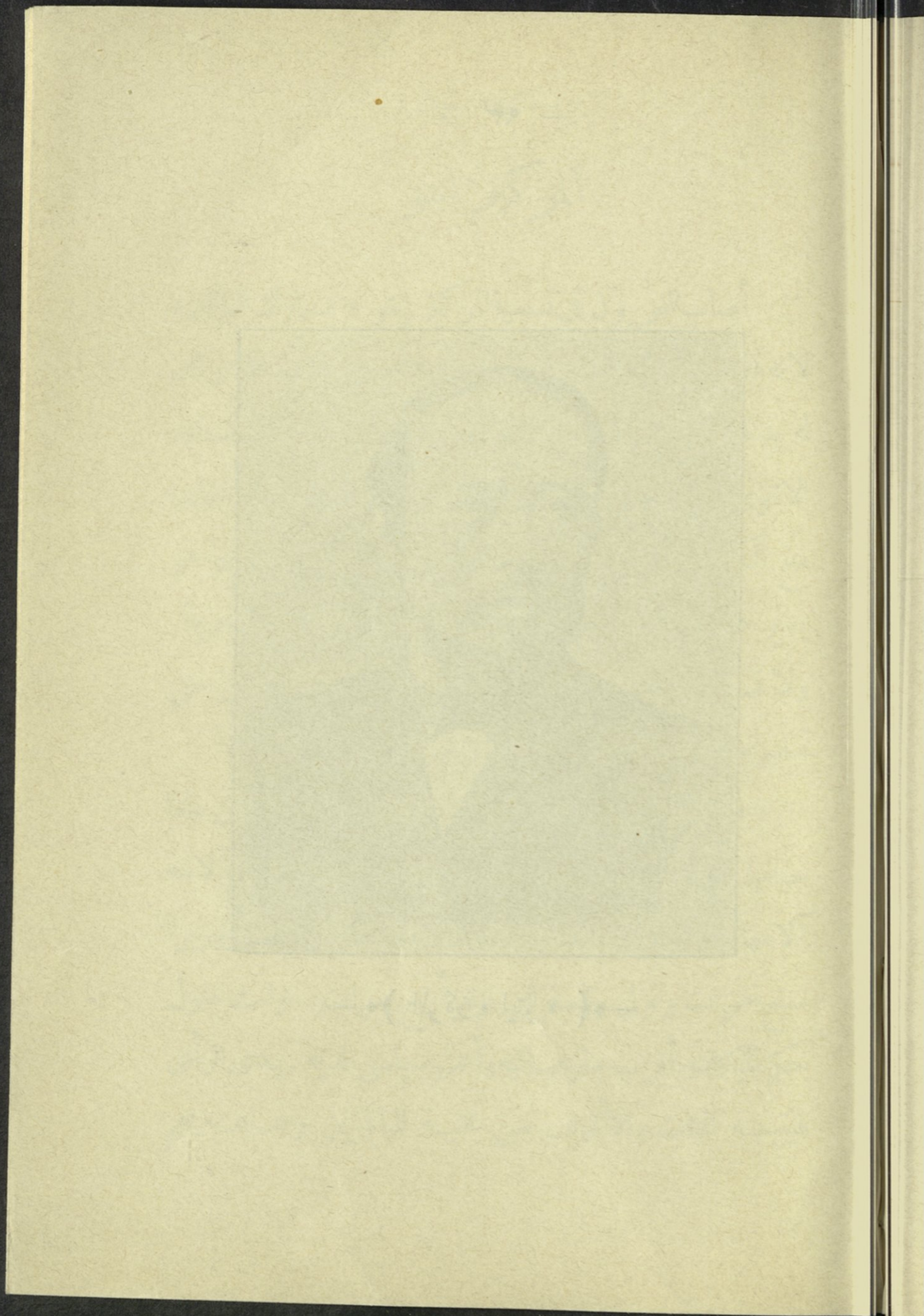
المركيز ايتو . الكونت أوكوما . الكونت ايتاجاكي . الكونت
اينوي . البارون أوكوبوتوزيميتسي

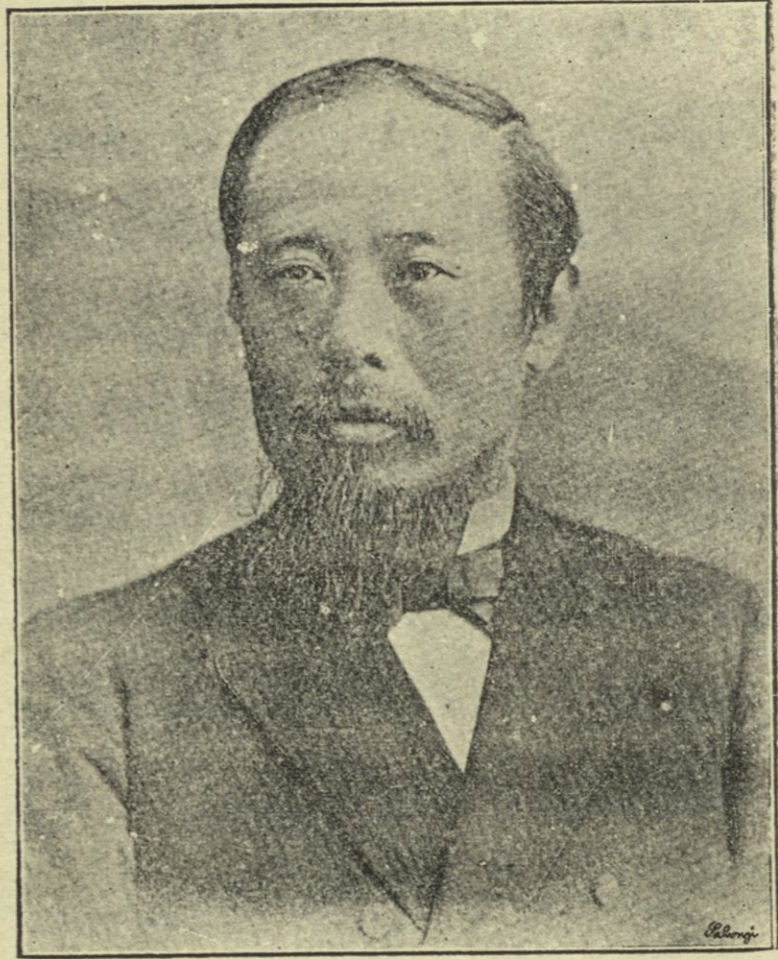
لم تر مملكة من الممالك عصرًا ظهر فيه على مسرح سياستها
جماعة من عقلاء الرجال وكبار الساسة مثل هذا العصر
الذي خرجت فيه اليابان من عزلتها ودخلت في الجمعية الانسانية
مسلحة بأسلحة العلم والقوة . ولا غرابة في ذلك فقد اتفق
الحكماء والفلاسفة على أن الملك اذا كان عادلا رشيدا ميالا
لخير الرعية اجتذب نحوه أجل الناس نظرة وأكبرهم ذكاء
وأوسعهم إدراكا . وبالعكس لا يلتفت حول محب النساد
والانحطاط الا الجهلة والذسسون

وقد كان الميكادو « كومي تنو » والد الميكادو الحالي من
أحسن الملوك طبيعة وأميلهم للترقي والخير فبدأ بإرسال
الارساليات إلى أوروبا لتخريج الرجال النافعين . واقتدى به ابنه
وقرب إليه كل ذي رأي سديد وأعلى مقام كل خادم أمين

فما لبث علي العرش الا قليلا حتى كان نصاحه ومستشاره وود من
خيرة الرجال وأدراهم بمحاجات البلاد . وكما ان إرادة الامبرطور
غليوم الأول أخرجت لبروسيا والمانيا « بسمارك » أكبر ساسة
القرن التاسع عشر و « دي ملتك » داهية الحروب . فان
إرادة الميكادو « متسوهيتو » أوجدت لليابان أولئك العظماء
الكبراء الذين يحسدها الغرب عليهم وتندب بعض ممالكة
عدم وجود أمثالهم فيها

ولو أراد الانسان أن يوفى كل واحد منهم حقه لوجب
أن يضع مؤلفا خاصا بهم . لأنهم يمثلون الهدية والارادة والمعزة
والوطنية في مظاهرها العالية . ولأن بأمثالهم تحيا الأمم والبلاد
وترقى الممالك والدول . ولا شك ان أخصهم بالذكر هم المر كيزايتو
والمارشال « يماجاتا » الذي يجيء الكلام عليه في فصل الحربية
والبحرية . والكونت أو كوما والكونت ايتاجاكي والكونت
اينوي والبارون أو كوبوتوزيمتسى . وغيرهم من عمال الاصلاح
والارتقاء كثيرون . ولكننا اكتفينا بذكر شيء عن هؤلاء
ليعرف منه القاري كيف يكون الرجال الامناء المخلصون لا وطنهم





— * الماركيز « ايتو » * —

المركيز ايتو

أصاب الغربيون في تسمية المركيز ايتو « بسمارك اليابان »
لانه الرجل النابغة الذي لم يدخل اصلاح في بلاده الا وكان
له يد فيه . ولم يتم لها عمل نافع أو ارتقاء كبير الا وكان الساعد
الاقوى للميكادو في وضعه وتميته . فبينما تراه في المالية ينظمها
مع الكونت أو كوما تجده يراقب حركة المدارس . وبينما هو
يدبر دفعة السياسة الخارجية تقرأ له لأئحة للبواخر والبحرية .
ولا تسمعه يخطب في النواب ويتلو على أمته الحقائق حتي
تبصره يدبر مع الميكادو حرباً أو تجريدة أو فتحة جديدة
فهو التاريخ الحي لليابان الحديثة . حياته من أربعين عاماً
حياتها ومجهداته ومجهوداتها ومصاعب عمره ومصاعبها وآلامه
آلامها وأفراحه وأفراحها ومناخره ومناخرها . وقد تعين وزيراً
سبع مرات وتولى رئاسة الوزارة أربع مرات . ولبث طول
حكم الميكادو أقرب مقرب اليه وأعز سياسى لديه . يبدى الرأى
فيتبعه المئات والألوف من نخبة اليابانيين وجماهيرهم

ويشير الاشارة فتقتدي به طبقات الامة على اختلافها . وهو
الذي مثل اليابان في كافة مخبراتها مع دول أوروبا فرأين فيه
السياسى المحنك والدهاء فى صورة انسان

ولد المريكز «هيروبو مي - أي الرجل الشهرم - إيتو» فى عام
١٨٤١ بولاية « شوشو » من اب ساموراى فتربى تربية
هذه الطبقة وشب بين أفرادها ودخل فى خدمة حاكم مقاطعة
« نجاتو » . واتخذ « اينويى » الصديق الامين على أفكاره
وكان من أيام نشأته الاولى ميالا للعلوم والآداب مغرما
بمعرفة مايجرى وراء البحار . فلما أخذ الأوروبون يفدون
على اليابان واضطروها لفتح ثغورها أمامهم قامت المشاكل
بينهم وبين هذا الحاكم فأشار عليه « إيتو » وصديقه « اينويى »
بان لايجار بهم حتى يتأكد من قهرهم والتغلب عليهم
ومعرفة أسرار قوتهم واقتراح عليه ارسالها الى أوروبا بالدراسة
أحوالها والوقوف على نظاماتها وعددها وآلاتها . فلم
يصنع الحاكم لا قوالهما وقاوم الأوروبين حتى هزمتهم مدافعهم
وعددهم الحربية . وكان جزاء من أبدى له الراى السيد وقدما

النصيحة الصادقة أن أثار أعداؤهما الشعب عليهما وحرضوه
ضدّهما بدعوى انهما أصل المزيمة وسبب الخيبة . فبحث
الثائرون عليهما في كل مكان حتي وجدوا « اينوي » في الطريق
وضربوه والضرب الموجه وما تركوه الا بعد ان ظنوه ميتا .
ثم ذهبوا يجدون في طلب « إيتو » وكان يهوى فتاة من الراقصات
- وهن مشهورات في اليابان باسم « جيشا » - ويقضى الليل
عندها فجاءه صديق وأذره باقتراب الثائرين من دارها فخار
في أمره . ولكن الحب كما يضل أحيانا يهدي الى الرشد والصواب
حينما ! فوضعت الفتاة تحت الفراش ونصبت طستها للاستحمام
فوقه . ولما جاء الثائرون وسألوها عنه قابلتهم بكل سكينه
وثبات جأش وقالت لهم : « لقد خرج من زمان » واستهزت
تتناول الماء أمامهم لاتمام الاستحمام . فدخلت الحيلة عليهم
وثبت عندهم صدق قولها لما رأوها على هذه الحالة وبعد ان
تعبوا في البحث عنه في أركان الدار
وبذلك أنقذت راقصة اكبر ساسة اليابان من خطر الموت .

فانظر بأي الاشياء تعلق حياة الرجال !!
وبعد ذلك استدعاه الميكادو « كومي تنو » وعينه في
احدى الوظائف ثم طلبه وقال له :

« ان عندك الاستعداد الكافي لان تكون رجلا سياسيا
وربما صرت يوماً ما أكبر وزراء اليابان . ولكنك لا تكون
كذلك إلا اذا تعلمت . فاذهب الى أوروبا وادرس أحوالها »
وأرسله بالفعل الى انكترا على « نفقته الخصوصية » .

حيث مكث فيها خمسة عشر شهراً . وقد تعلم في هذه المدة الوجيزة
اللغة الانكليزية وأحاط علماً بنظمات البلاد ودستورها ونظر
في الرجال والاشياء نظرة مدقق متأمل وأطال النظر بنوع
خاص في البوارج الحربية . ولما عاد الى اليابان وجد الحرب
قائمة بينها وبين الدول الاجنبية لفتح الثغور فنزل في إحدى
المواني وتطوع كنوتي في باخرة يابانية واشترك في الحرب
أمام ثغر « سيمونداكى » . وبعد انتهاء القتال خابر الدول
— وهو بلباس النوتي — باسم الميكادو

ومن ذلك اليوم صعد سلم المعالي غير هياب ولا وجل

فعينته الحكومة حاكماً لمقاطعة « هيو جو » فأبدى في إدارتها
خبرة وكفاءة تامتين ثم اختاره الميكادو وزيراً للمالية في عام ١٨٦٨
وهو في السابعة والعشرين من عمره . فأظهر اطلاعا عجيبا
وعلما واسعا . ولا غرابة في ذلك فقد أدهش أقرانه ومعلميه في
انكثرا بذكائه الفائق واستعداده النادر في المدة القليلة
التي أقامها بينهم . ولا يزال الاحياء من أساتذته ورفاقه يذكرون
هذه الصفات السامية

ولم يكتف الميكادو بهذه الدراية وهذا الاستعداد بل
استدعاه في عام ١٨٧٠ وقال له :

« انك وزير كبير . ولكن لا بد لك من أن تزداد علما
وعرفانا . وقد أرسلك أبي لدراسة أحوال أوروبا . وأنا أرسلك
اليوم لدراسة أحوال أمريكا »

وأقام « إيتو » في الولايات المتحدة عاما كاملا علي نفقة
الميكادو . تعلم فيه كل ما يحتاج اليه واعتني بدراسة الدستور
الأمريكي وسير المالية وعاد الى وطنه مزودا بالمعارف النافعة
والملاحظات الدقيقة والمشاهدات الحقة . وتقدم الى ملكه

وأتمته بعد عودته وفي يده مشروع للدستور
وكان أكبر همه بعد رجوعه من الولايات المتحدة تحسين
الحالة المالية لبلاده فغير العملة اليابانية ووضع اللوائح
والمنشورات لتحصيل الضرائب ونظام الإيرادات والمصروفات
وأخذ يعلم العمال من كبيرهم لصغيرهم كيف ينمذون هذه
اللوائح ويطبقونها ويحققون أفكاره ورغائبه . وكان يقول
دائماً ويكرر هذا القول : « لا بد ان تسيير المالية على أحسن
أسلوب » . وقد سأله أحد زائريه من الأمريكين عن
سبب كثرة ورود هذه الجملة في أحاديثه فقال :
« اني أنطق بها بدون أن يشعر لساني بخروجها من فمي .
فكما انها صادرة من قلبي الذي اذا وقف وقفت الحياة . فانها تشير
الي ذلك القلب العظيم الذي اذا تعطل تعطلت حياة المملكة .
وأعني به وزارة المالية . واني باذل جهدي في وضع أمتن
الاساسات لها . لاسيما بعد ان أدركت رقيكم وتقدم ما ليتكم
والقواعد التي تسيرون عليها . وانه لشدة شغفي بعمل لا أشغل
الآن بسواه تراني أكرر ذكره وأجد في التكرار حلاوة »

وبهذه الخدمة الجليلة التي قام بها لبلاده وعاونه فيها الكونت أو كوما صار « الرجل الذي لا يستغني عنه » فأُسند الميكادو إليه في عام ١٨٧٣ وزارة الأشغال ليصلحها بفكره الصائب ونشاطه المدهش . فعمل فيها بجد زائد واختار المهندسين الماهرين لمساعدته واستعان بعلماء أوروبا وأمريكا ثم كافأهم بوافر العطاء وودعهم بحميل الشناء بعد أن أخذ منهم لقومه ماشاء . واستمر ينتقل من وزارة لوزارة ومن رئاسة النظار الى مجلس الاشراف . وهو في كل وظيفة العامل المجد الساهر على مصالح بلاده الملمهم العمال والموظفين بالآراء الثاقبة والافكار الرشيدة . وله الأيادي البيضاء في ارتقاء البحرية اليابانية . فهو الذي ساعد الميكادو في زيادة البوارج من كل نوع وحمل مجلس النواب على قبول مشروع تقوية البحرية المشهور « بيروجرام ايتو » بعد أن كان رفض تقرير الضرائب لاجلها . وفي عهد وزارته الثانية جرت الحرب بين الصين واليابان فأظهر فيها حذقاً ومهارة وتديراً ودهاءً وبالجملة كانه الصفات التي يمتاز بها الرجل العظيم . وبعد انتهاء الحرب تقدم مع « لي هونغ

شانغ « معاهدة « سيمونذاكي » وخضعت الصين لمطالبه
وقد كافأه الميكادو يومئذ بتوجيه لقب مركز اليه وكذلك
بمخبرة الدول الأوروبية في وجوب إلغاء الامتيازات القنصلية
التي كانت تقضى بمحاكمة الاجانب أمام قناصلهم فأفلح في
هذه المأمورية الدقيقة ورفع مقام بلاده الى ماشاءت ومحيت
الامتيازات ودخلت اليابان في سلك الدول الراقية المتقدمة
ورأي الشعب الياباني الاجانب يحاكون أمام محاكمه . وهو
الامر الذي طالما تمناه واعتبر ما كان يجري قبله منتهى
الاهانة لكرامته

والمركز إيتو هو الذي مهد السبيل للمحاذنة التي عقدت
منذ عامين بين اليابان وانكلترا وكانت أسمى اعتراف بارتقاء
دولة الميكادو وبلوغها الدرجة القصوى من المدنية والحضارة
والقوة

ولاشك ان اليابان مدينة لهذا الرجل الداهية بدستورها
الذي تفتخر به الآن . وقد قال عنه في حديث جرى له مع
المسيو «ستيفان لوزان» الكاتب الفرنسي الشهير :

« انه لم يكن من الأمور الميسورة ادخال الدستور في بلاد لم تسمع أبدا بالمجالس النيابية . ولم يكن لدى مثال في الماضي اقتدى به كما أنه كان لا بد من وضع شيء يدوم في المستقبل فأجهدت نفسي في تناسي كافة نظمات الشعوب الغربية وأخذت أضع نظاما يصلح على قدر الامكان للشعوب الشرقية وتساءلت كيف كان يفعل « بوذاوقومفسوس » لو كانا كلفنا بوضع نظام دستوري . وأظن اني لم أخب كثيرا في القيام مقامهما لان « دستوري » يعمل به من يوم وضعه ولم يجد قومي ضرورة لادخال أقل تعديل فيه »

ولما سأله محدثه عن رأيه في الاحزاب السياسية أجابه بهذه الكلمات الدالة على انه جمع بين الفضيلة والسياسة والمعرفة والاخلاق - شأن فحول الرجال - :

« لا يكون الحزب السياسي قائداً للشعب حقيقة الا اذا كان النظام سائداً بين صفوف أفراده . وكانت القاعدة الوحيدة له في خطته وسلوكه الاخلاص التام لمصالح البلاد . وكان مجتنباً قبل كل شيء منح الوظائف للجهلاء والغير الصالحين

ممن ينتصرون له ويتعلقون به «
وهو مشهور بالتأني والنصاحة والبلاغة وقوة التأثير
وله كلمات يرددها اليابانيون في كل جهات المملكة . وقد
قال له الميكادو ذات يوم : « اني أرى بلادنا أقرب الى ينابيع
الشمس من غيرها . واننا أصحاب الحياة والنشاط وفي استطاعتنا
أن نسود العالم بسطاننا ونوزع عليه الحياة بالعدل ونتبع الشمس
في سيرها لنشر سيادتنا حيث تسير » فأجابه بقوله : « نعم ذلك
حقيقي يا مولاي . ولكن أخشى اننا اذا اتبعنا الشمس تغرب
معها ! »

وناقشه مرة أحد زائريه من الامريكيين في حالة المرأة
اليابانية وعدم وجود شأن لها في الهيئة الاجتماعية اسوة
بالاوروبات والامريكيات وأعرب عن دهشته من بقائها
« شرقية » مع تغير أحوال اليابان كلها ودخول المدينة الغربية
فيها . وأخذ يشرح سعادة الامريكيات وتأثيرهن على ترقى
الامة . فتركه المريكيز « ايتو » يفيض في القول والبيان حتي
سكت منتظراً الجواب فقال له :

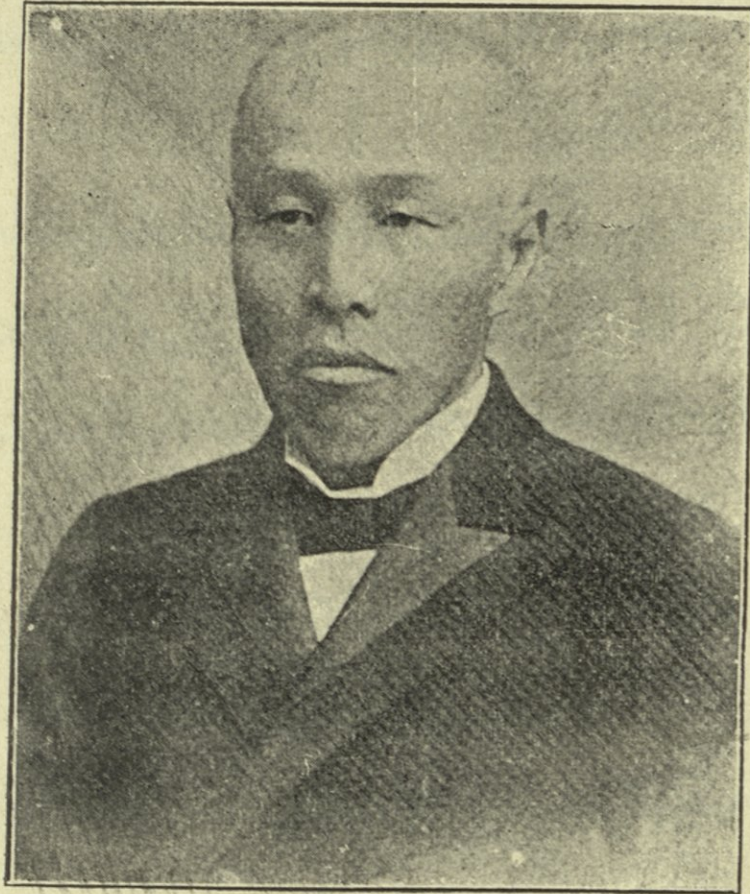
« نعم نعم . انى أفهم كل ما تقول وأعلم ذلك علم اليقين .
ولكن الفرق بيننا عظيم . فانى اذا تزوجت وجدت من زوجتى
رفيقاً يشرف على الخدم . ولكنك أنت اذا تزوجت تبقى
وحيداً ! »

وهو اليوم يرأس « مجلس القدماء » وقد أنبأنا التلغرافات
انه ذهب الى كوريا بمأمورية سامية وعاد منها بالنجاح والفلاح .
فلتمنا اليابان بهذا الرجل العظيم النادرة وتغبطها بلاد الشرق
عليه وتندب سوء حال أمم يخرج أبناؤها من البطون الى
القبور بدون أن يسمع العالم منهم صوتاً أو يشعر لهم بوجود.....

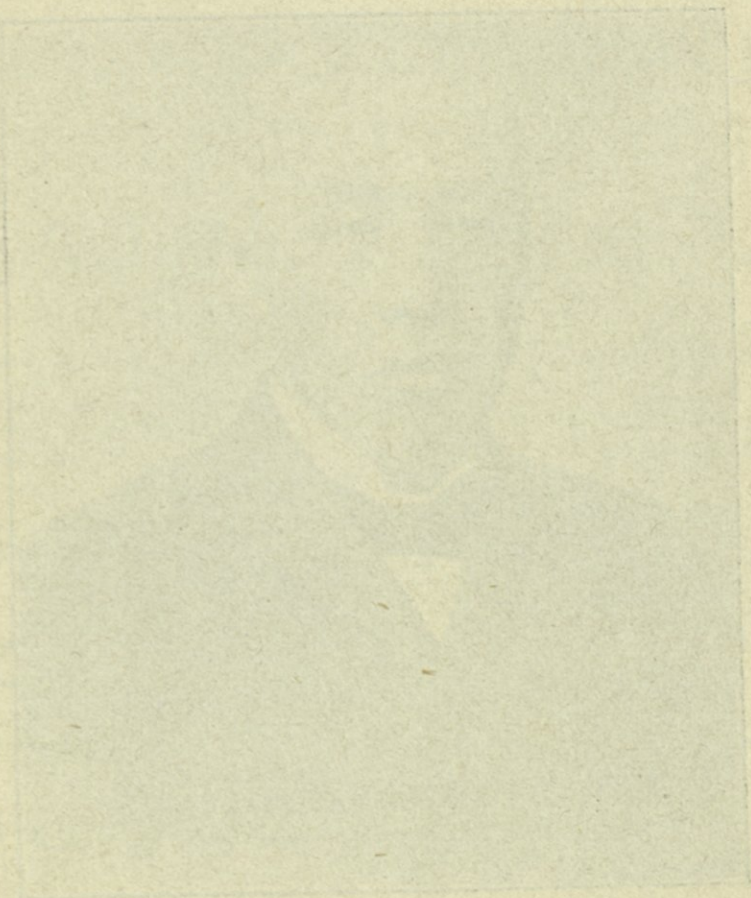
الكونت او كوما

هو زعيم حزب « المتقدمين » وأكبر خطباء اليابان .
تولى وزارة المالية ورئاسة مجلس الوزراء وسار سير « إيتو »
في أمور كثيرة وابتكر أموراً أخرى . وهو من أصحاب
الفضل الذائع ومن سلالة الساموراي أيضا . وله الشهرة
الفائقة والصيد الطائر في المسائل المالية وحل معضلاتها
الدقيقة . ومع انه لم يخرج من بلاده طول حياته فقد أظهر
من أول أيام حكم الميكادو الحالى ميلا شديداً للمدينة الغربية
وعاون ملكه بكل قواه فى ادخالها للبلاد واصلاح الشؤون
المختلفة وتقويم الامور المعوجة . وخدمها برأيه ووصوته ونفوذه
واستمال اليها العديدين براهينه القاطعة وأدلته الساطعة
وحججه التى لا تنقض

وبلغ من تشيعه للمدينة الحديثة أن أعداءه اتهموه بخيانة
الوطن والسعي فى تسليهه للاجانب وأكثروا من اشاعة هذه
التهمة بين الطبقات الوضيعة حتى ألقى أحد الذين أثارت هذه



— * الكونت « أوكوما » * —



(G. S. D. S.)

3

القرية سخطهم الوطني قنبلة من الديناميت تحت عمر بته فقتلت
السائق والخدام والجوادين وهشمت إحدى ساقيه . واضطر
الاطباء لقطعها بعملية جراحية رأى فيها الكونت أنواع
الآلام والاسقام . وقد شفى منها وساقه اليميني كما خلقت
والاخرى من الخشب

ولم يستغرب الكونت أو كوما مما أصابه ولم يبدهشة
لما انتابه لانه كان يعلم أن لا بد للاصلاح من ثمن وأن الصادقين
في خدمة الاوطان هم الذين يقدمونه وان إعزاز شأن الامة والبلاد
أمر لا تسترخص فيه الارواح الغالية

وهو مشهور بالأدب الرائع والاخلاق الكريمة . ويروي
عنه انه قال لسفير أجنبي جاء لزيارته وهو طريح الفراش يوم
أصابته هذه القنبلة عند ما أراد الانصراف : « عذراً أيها السفير
إذا خالفت الأدب ولم أرافقك الى الباب ! »

وقد أمضى السنوات العديدة في دراسة أحوال أوروبا
« وهو في اليابان » ومعرفة أسرار تقدمها . ويصنفه كتاب الغرب
الذين قابلوه بأنه يتوقد ذكاء ويكثر من محادثتهم لاستطلاع أفكارهم

وإدراك رأى نافع أو اقتراح مفيد لينفذه في مصلحة بلاده وله
نظرات صادقة وكلمات صائبة . وقد أظهر له أحد ساسة
أوروبا مزيد استياء الأوربيين من اعتداء الضابط الياباني
«ميورا» منذ بضع سنوات على ملكة كوريا وقتله لها في
قصرها لإعلانها العداء لليابان . فطأ الكونت رأسه ثم نظر
إليه شذراً وقال : « ان أيدي الأمم الأوروبية ليست نظيفة
حتى تدعى لنفسها هنا حق التأثر والسخط من أمر لا يروق لها »
وخدم الكونت « أو كوما » العلوم والآداب في بلاده
خدمة سامية وأنفق الآلاف من الجنيهات في سبيلها . فأنشأ
بجوار قصره في « وازيدا » بضواحي طوكيو كلية لتعليم البنين
والبنات فيها أكثر من ألف طالب وطالبة . ينتشر المتخرجون منهم
في اليابان ورأس ما لهم العلم الصحيح والمبادئ السليمة ويجاهدون
في ميادين الحياة جهاد الأبطال . وقد نال الكثيرون منهم أرقى
الوظائف . وصار « أبناء أو كوما » - كما يسميهم الشعب -
أنفع خدمة اليابان في هذا الزمان

ولم يقتصر انفاقه على التعليم . بل امتد إلى الصحافة

فانتشل عدة من الجرائد النافعة من خطر الموت وساعدها
بالمال والامدادات المستمرة حتى انتعشت ودبت فيها الحياة
وقامت بما ينتظر منها

وله على حزبه تأثير كبير . وهو حر الفكر غير مقيد بقيود
الاهام . ومن زاياه أن قوة الرأي العام في اليابان لم تصل الى الغاية
المطلوبة لقصر الزمن واستحالة تربية أمة كاملة تربية سياسية في
مدة قليلة . وقد نقل المستر « ستفورد » في كتابه على اليابان
مقاله له بشأن السياسة الداخلية اليابانية والرأي العام عقب استقالته
من رئاسة النظائر في سنة ١٨٩٧ . والى القارئ مؤدي مقال :
« ان ساستكم يمثلون منتخبين يقدرون الحياة الأدبية
والمادية حق قدرها وان الانتخاب هو القوة التي ترشدكم
في أعمالهم وتجبرهم على تنفيذها . وسواء كان سالسبورى أو
غلاستون في الحكومة أو مع المعارضين فانها يعلمان أن أعمالهما
مؤيدة بسلطة قوية حقيقية . وبالجملة فإن رجالكم يستطيعون
عمل كل شئ صالح للمملكة
اما نحن في اليابان فع اننا خطونا خطوات محسوسة في

طريق تكوين الرأي العام فانه لا يزال ينقصنا وجود معارضة
قوية عامة لان في وجود المعارضة ما يظهر الصفات الحسنة عند
الرجل السياسي «

فليتأمل في أقوال هذا السياسي الشرقي أولئك الذين
يشكون ويتألمون من المعارضين للاحتلال في مصر ويقول
زعيمه انه يحاربهم الحرب العوان ويطاردهم في كل مكان . عساهم
يعترفون معنا ان السلطة الراجعة في خير أمة تمجد المعارضين
وتعزهم باطنا ان لم تستطع المجاهرة بذلك ظاهرا لانهم الدالون
لها على عوراتها المرشدون للطريق السوي . وانها ترى من النقص
القاضح والعييب المشين الطعن عليهم والتفاخر بمطاردتهم !
وقد جاوز الكونت «أو كوما» الستين من عمره . وها هو
اليوم ينادى أمته بالاستعداد للحوادث المقبلة ويحذر لها شر
تداخل دول أوروبا في الحرب الحاضرة لأن الحسد دب بينهن .
وغيرتهن من اليابان ظاهرة للعيان لا تحتاج الى بيان . وله الحق أن
يقف مثل هذا الموقف بين قومه لانه خدمهم بقلبه وعقله
وبيانه وماله وعلم الناس كيف تكون الوطنية الرشيدة

الكونت ايتاجاكي

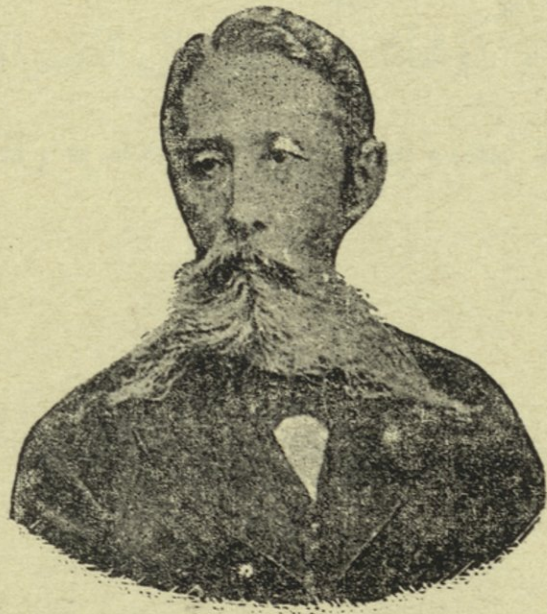
هو زعيم حزب الاحرار وأشد اليابانيين غراما بالحرية
والدستور. وأول من رفع الى الميكادو الكتب تلو الكتب مطالبا
بانشاء مجلس نيابي تختيمقا لوعده وتنفيذاً لما جاء في قسمه
الامبراطوري عقب توليته. وقد طاف البلاد خطيبا بين أهلها
في حقوق الشعب وواجباته مينا لبني وطنه أهمية المجالس
النيابية وكيف تشترك الأمة في الحكم مع الملك ووزرائه. ولم
يترك فرصة حتى انتهزها لتأدية هذا الواجب الذي أخذه
على عاتقه

ولما رأى ان صوته اذا بقي منرداً لا يأتي بالثمرة المقصودة
أسس في عام ١٨٨٠ حزبا سياسيا للمطالبة بالنظامات الحرة
اسمه « جيوتو » أي الحزب الحر واستمر يخطب هو وعضاؤه
ويكتبون وينشرون في الصحف المقالات على ما في الدستور
من خير للأمة عظيم ونفع عميم. وتعلق بالمركز « ايتو »

وطالبه بمساعدته في اخراج أمنيته وأمنية اليابانيين من دائرة
النكر والآمال الى عالم الوجود . فوجد منه أخا في المبادئ
والعواطف ووضع يده في يده . ولبث « إيتاجاكي » على هذا
الحال لا يهدأ له بال ولا يغمض عينيه الا وهو مفكر في الدستور
حتى أصدر الميكادو أمره بتشكيل لجنة تحت رئاسة المركز
« إيتو » لوضع مواده وأعلن رسميا ان مجلس النواب سينفتح
في عام ١٨٩٠

وبعد تشكيل المجلس ازداد الحزب الحر قوة على قوته
وتأثيرا على تأثيره وصار زعيمه أكبر نصراء الحرية في أمته
ولم يكتف بمآنال . بل تراه إلى اليوم يطالب المزيد منها ويقول
انه لا يستريح حتى يرى اليابان ممتعة بحرية أكبر مما تمتع به
انكترا وفرنسا

ولم ينجح هو أيضا من اعتداء أنصار التأخر والجهل . بل
طعنه أحد أعدائه بمنجرف فصاح قائلا - والدم يسيل منه - « قد
يموت إيتاجاكي ولكن الحرية لا تموت ! » . ولم يقض الا
أياما قلائل حتى شفي من جرحه وعاد الى عمله



— * الكونت « ايتاجاكي » * —



[Faint, illegible text or markings, possibly a signature or name, located below the watermark.]

وهو مشهور بالفقر المدقع . ويفتخر به ويعده عنوان
الشرف والمجد . ومن آرائه ان الرجل الطاهر الذمة
الشريف النفس لا يكسب مالا في السياسة والرئاسة بل يزداد
فقرا إن كان فقيراً ويضيع ماله ان كان غنيا . ويروى عنه
انه لما عين وزيراً أوشك ان لا يصل الى القصر الامبراطوري
في الميعاد المحدد لعدم وجود قبعة سوداء لديه وقفاز يقابل به
الميكادو !

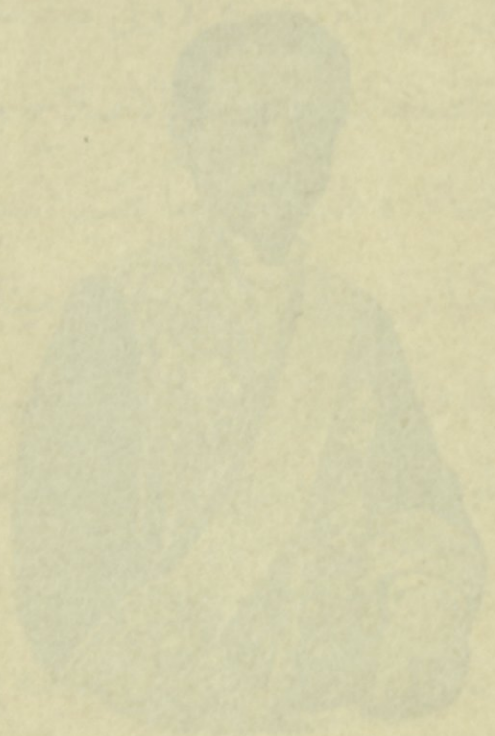
الكونت اينوي

علم القارئ مما ذكرناه في ترجمة الماركيز إيتو انه اتخذ الكونت اينوي من أيام شببته الاولى صديقه الحميم والامين على أفكاره ومقاصده . وان أعداء الاصلاح والتقدم ضربوه في مقاطعة « نجاتا » ضرباً موجعاً عقب انتصار الاوروبيين على جنود حاكمها ولم يتركوه حتى ضنوه ميتا . وقد غادر البلاد بعد ذلك وأبحر على ظهر باخرة أجنبية الى انكاترا بقصد نقل علومها ومعارفها الى بلاده . وتكفل الميكادو « كومي تنو » بنفقة تعليمه حتى تعلم وتهذب وأخذ من أوروبا أحسن ما فيها وعاد الى وطنه وتمسكه بصديقه إيتو أشد من ذي قبل . واعجابه بمطالبه وما ربه لا يعرف له حد

وقد عين وكيلا للدالية ووزيرا للخارجية وتقلب في عدة وظائف سامية أظهر فيها كلها الكفاءة والنزاهة والنيرة الوطنية والحدق . ولا شك ان أسى صفاته ومميزات أخلاقه انه لبث طول حياته الظل الذي لا يترك « إيتو » . ولم يجد الحسد الى



— الكونت « ايزوبي » —



[Faint, illegible text or signature, possibly a name, located below the watermark.]

قلبه سبيلا . بل ضحي كل شئ لدوام هذه الصداقة التي
رأى فيها منفعة بلاده وفوز سياسته وتحقيق آماله . ومن
يعرف أخلاقنا معاشر الشرقيين لا ينكر فضل رجل كهذا
ساعد صديقه على بلوغ هذه الشهرة الذائعة وكان على الدوام
ساعده القوى الذي لا يشكو ولا يتألم

وقد عادت عليه هذه الخطة بالمكسب الادبي الجسيم .
فذكر القاصي والداني إخلاصه لوطنه وتمام استعداده وعمله
لخير أمته بلا دوى ولا ضوضاء واعتبره اليابانيون جميعا من
أقوي وأمتن أركان الحكومة الدستورية

وهو في مقدمة السياسيين اليابانيين الذين رأوا في وجود
الروسيا بالتقرب من بلادهم خطراً عليها وأشاروا بضرورة
احتلال كوريا وتسيير أمورهما حسب ما تقتضى المصالح اليابانية .
كما انه كان في الصف الاول من العاملين لتقوية البحرية والبحرية
والاستعداد للحرب الحاضرة التي يرى في نتائجها دورا
جديداً لليابان وانقلابا عاما في سياسة الدول الاوروبية ازاء
الشرق الاقصى

وهو يشكو في كل صيف آلاما في الضلوع من
جراثم تلك الضربات الموجعات التي لحقت به في مقاطعة
«نجاتا». ولكنه يحملها بجلد ويعدها مفخرته الاولى
وفاتحة حياته السياسية التي توجت بفوز دولته ورقيا هذا
الرقى السريع الذي بهر الدنيا بأسرها

البارون أو كوبوتوزي تسي

أبنا فيما تقدم ان الحزب المعادي لدخول المدينة الغربية
قام في وجه الحكومة اليابانية ورفع لواء العصيان ضدها وهزم
بعد وقائع عنيفة . وان افراده اعتدوا على رجال الاصلاح
والتقدم وحاولوا إعدامهم واحدا بعد واحد . وقد نجوا
جميعا الا البارون «أو كوبوتوزي تسي» فانه مات تحت خناجر
سنة من الساموراي انتظروا مرور عربته من إحدى الطرق
الذاهبة من ضواحي طوكيو الى قصر الامبراطور وطعنوا
السائق في مكانه وأخرجوا هذا الخادم الأمين لوطنه وقتلوه
شر قتلة في يوم ١٤ مايو عام ١٨٧٨ . وهو لم يتجاوز الثامنة
والاربعين من عمره

وكان أو كوبو يومئذ وزيرا للداخلية ومن المقربين
للميكادو المؤثرين عليه في آرائه وأفكاره المسموعي الكادة لديه
المشهورين بالرأي الصائب والفكر الرشيد. فأحدث خبر قتله زنة
حزن وأسف وبكاه كل وطني متبصر واحتفل القوم بدفنه

كما يحتفل بالابطال الذين يقدون أنفسهم للوطن
وقد ولد من أب ساموراي وتربى على أخلاق هذه
النمّة التي تمثل الشرف والشهامة والآداب الراقية وأظهر على
الدوام ميلا للميكادو وتقديسا لمقامه . واتفق مع صديقه
المارشال « سيجو » على محو سلطة الشُّنّ وازالة حكومته
ورد القوة والسيادة لصاحبها الشرعي . واشترك في كل
الاجتماعات التي عقدت لهذا الغرض . ولما تم الامر وقضى
على الشُّنّ وذهبت أيامه وانتقلت السلطة النعالة للميكادو
كان أول ساموراي قابله وأشار عليه بنقل العاصمة الى « ييدو »
وتسميتها طوكيو ووافق « إيتو » على أفكاره بشأن تمدين
البلاد ومقاتلة نفوذ الغربيين بأسلحتهم ورد تيارهم الجارف
بالآتهم واختراعاتهم

ولذلك قر به الميكادو اليه وأرسله الى أوروبا وأمريكا
ليتعلم ويستفيد ثم عينه وزيرا للداخلية في وقت كانت البلاد
محتاجة لرجل قوي ينشر الامن ويحفظ النظام ويضرب على
أيدي الطغاة المتآمرين ضد الاصلاح والتقدم



— * البارون « أوکو بوتوزيمتسي » * —

١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠

ولم تمنعه صداقته القديمة للامارшал « سييجو » وعلاقاته
الاولى مع الساموراي أصدقائه من المناداة بوجوب نقل
المدنية الاوروبية الى اليابان واضطر لمعاداتهم جميعا لشدة
نفورهم من مبادئه وأفكاره. وكل من يعرف كم يتألم الصديق
الصادق والخل الوفى من حل عرى الوداد لاختلاف في
الافكار والمشارب يدرك اخلاص « أوكوبو » في خطته ذلك
الاخلاص الذي أبعدته عن أعز محبيه وعرضه لاعتداء الجاهلين
ومن أعماهم التعصب حتى ذهب ضحية وطنيته ومات
كالجندى الباسل في ساحة القتال

الدستور

تاريخه . ساطة الامبراطور . الهيئة النيابية . الوزراء .

استند كل الكتاب والمؤلفين ما كتبوه على الدستور الياباني من مؤلف للمركز « ايتو » عنوانه « تعليقات على الدستور في المملكة اليابانية » لانه جمع ما يحتاج اليه المطالع والمحرر والمصنف وهو الحجة في الموضوع لان صاحبه واضع الدستور وعارف أسراره ومنفذه بين قومه

ولا يحتاج الباحث في أصل الدستور الياباني الى عناء للوصول الى بغيته لان القسم الذي فاه به الميكادو في أول حكمه هو المادة الحيوية الاولى لوجوده والحجر الاساسي من بنائه . وقد دأب ساسة اليابان على المطالبة به تحقيقاً لوعده الامبراطور . وكان في مقدمتهم الكونت ايتاجاكي كما قدمنا . فانه اتفق مع صديقه « جوتو » وسياسيين آخرين في عام ١٨٧٠ ورفعوا مذكرة لجلالته ذكروه فيها بخطابه وأبانوا حاجة

البلاد انظام قويم يضمن لها السعادة والاستقلال والعدل في
الحال والاستقبال . ولكن الميكادو رأى يومئذ ان الوقت لم
يحن لتنفيذ ذلك العهد الذي أخذه على نفسه وانه يجب قبل
كل شئ تربية الامة تربية سياسية وتعويدها على المجالس
النيابية فأمر بجمع حكام الاقاليم مرة في كل عام بمدينة طوكيو
للنظر في مصالح الاهالي وتقرير الامور العامة الهامة وسمي
هذا المجلس « شيهوكان كواي جي » . ولا يزال موجودا
الي اليوم

وفي عام ١٨٧٥ خطا الامبراطور خطوة الى الامام في
سبيل الدستور فأنشأ مجلس الشيوخ واختار اعضاءه من
ذوى الكفاءة والاختبار ومنحه بعض الحقوق التشريعية
غير ان إنتاجاكي وأمثاله من المغرمين بالدستور التام لم
يخزلوا بهذه الخطوات البضعية التي لا توصل الى غاية ولا
تقوى للامة ساقا فأنشأ هو وأصدقائه في عام ١٨٨٠ الحزب
الحر واستقال الكونت أوكوما من خدمة الحكومة وأسس

حزب المتقدمين . وقامت بعد ذلك أحزاب أخرى كالحزب
الأهلي الاتحادي . وأخذت كلها تعمل لايجاد مجلس نيابي
يمثل الأمة ويراقب الحكومة ويعطى النافع ويمنع الضار
حتى رأى الامبراطور ان بين رعاياه من يصلحون لقيادة
الاحزاب وتربية الملكة السياسية عند الافراد فأصدر في
اكتوبر عام ١٨٨١ أمراً امبراطوريا أعلن فيه شعبه بانه عين
لجنة من المتشرعين والسياسيين لوضع مواد الدستور بما يوافق
مصالح البلاد وانتخب المريكز « إيتو » رئيسا عليها وحدد عام
١٨٩٠ لاصدار ذلك القانون النظامي الذي كان ينتظره الكبير
والصغير في المملكة بشوق وشغف . فتمت الوجود وامتلات
الصدور بشراوسرورا وعم الفرحة هذه الامة التي لم تترك بابا من
أبواب الرقي حتى طرقته . وأسرعت اللجنة في عملها حتى
صدر الدستور في ١١ فبراير عام ١٨٨٩ وأقيم احتفال عام
ابتهاجا بصدوره . واجتمع مجلس النواب لأول مرة في ٢٥
نوفمبر سنة ١٨٩٠ وألقى الامبراطور خطبة الانتتاح فيه بعد
ذلك بأربعة أيام .

وقد أصدر الميكادو في ذلك اليوم المشهود . يوم ١١ فبراير
عام ١٨٨٩ قانونا خاصا بنظام البيت الامبراطوري وآخر يتعلق
بمجلسي الاشراف والنواب وقانونا ثالثا على الانتخاب لمجلس
النواب ورابعا على المالية

والمطالع لدستور اليابان لا يسعه الا أن يثني على واضعيه
ويجب بهم اعجابا كبيرا لانهم رأوا من العبت اذطاء أمة
شابة حديثة العهد بالنظامات الغربية كانه الحقوق المخولة
للشعوب التي تدربت عليها وأخذت بعد العناء والجهاد أوفر
قسط من الحرية فتركوا النظام الانكليزي والفرنساوي
والامريكي وقلدوا الألمان في حقوق المجلس النيابي أمام الحكومة
ومركز الوزارة أمامه . وأبقوا للميكادو السلطة الواسعة
والنفوذ الكبير والاشراف العام . فليس لمجلس النواب في
اليابان أن يسقط الوزارة لم اذا ترضه سياستها . بل له أن يرفع
الخلاف الى الامبراطور وهو يفصل فيه إما بالتوفيق بينهما أو
بمحل أحدهما . فهو الحكم الأعلى وربان سفينة الدولة والأمين
على توتها ومجدها ومصالحها

وهذا النظام ضروري للأمة في أول عهدها بالمجالس
النيابية ويحمي البلاد من أخطار كبار فضلا عن أنه لا يسلب
الشعب حق التشريع والمراقبة على أعمال الرزراء. وقد أجمع
المشتغلون بحالة اليابان وأدوار تقدمها الحديث على ان الميكادو
لم يخالف رغائب شعبه مرة واحدة وانه قل أن يوجد في أوروبا
ملوك دستوريون يتبعون ارادة الأمة مثله

*
**

حدد الدستور سلطة الامبراطور ومجلسي النواب
والاشراف والوزراء. فأبان ان الميكادو هو الرئيس الأعلى
للحكومة وفي قبضته كل حقوق السيادة والامارة. فهو
يسوس أمور اليابان ويحكمها ويعتبر مقدساً لا يعتدى عليه
ولا يمس. ولا ينفذ قانون يصدره مجلسا النواب والاشراف
الا اذا صدق عليه. ويأمر بجمع المجلسين وانفصالهما. وحل
مجلس النواب عند الضرورة. ويصدر الأوامر التي تقوم مقام
القوانين في حالة عدم اجتماع المجلسين اذا وجدت حاجة لذلك
ويحدد سلطة كل مصاحبة ويقرر مرتبات الموظفين المالكين

والعسكريين ويعينهم ويعزلهم ويقود جيوش البحر والبر
ويعلن الحرب ويعقد الصلح ويمضى المعاهدات مع الدول
الاجنبية . ويقرر الأحكام العرفية ويمنح الرتب والالقباب
والوسامات وعلامات الفخار ويأمر بالعفو وتخفيف العقاب
ورد الشرف . ويتخذ الاحتياطات المالية اللازمة لصيانة الدولة
والمصالح العامة اذا لم تستطع الحكومة جمع مجلسي النواب
والاشراف وتقرير الأمر بواسطتهما . ويخالف القوانين كما
تشاء مصلحة البلاد اذا قامت الحرب أو وقعت اضطرابات
داخلية

ولم يقيد الدستور الميكادو في هذه الحقوق الواسعة الا في
بعض أمور : منها انه جعل لمجلسي النواب والاشراف حق
عدم الموافقة على الاوامر التي يصدرها في حالة عدم اجتماعها
لتقوم مقام القوانين وعندئذ تصير لانية وغير معدول بها . ومنعه
من المساس بالقضاء والقضاة فليس له الحق في عزل أحد
القضاة أو الاعتداء على استقلالهم . وقيد في مسألة المالية فقرر
وجوب التصديق على الميزانية من مجلسي النواب والاشراف

مع انه منحه حق تحديد مرتبات الموظفين كما يشاء فكأنه أعطاه
هذه الحرية من جهة وقيدها من جهة أخرى ليحصل التكافؤ
ولتكون الاعمال مقرونة بالحكمة والسداد . وكما أنه أولاه
حق جمع المجلسين وفضهما وحل مجلس النواب فإنه ألزمه
بجمعهما مرة في كل عام لمدة ثلاثة أشهر . وجعل من حقه المحض
تأليف الوزارة وحلها ولكنه اشترط وجود امضاء الوزير
المختص بجانب امضائه في كل أمر يصدره

أما مرتب اليكادو وأعضاء عائلته فهي ٣ مليون « ين »
في العام أي ثلاثمائة ألف جنيه (لان الين يبلغ نحو عشرة
قروش) . ولم يذكر في الدستور شيء عن المرتب ولكن بيانه
جاء في الميزانية والنظام الخاص ببيت الملك

*
**

أنشأ الدستور الياباني مجلسين للسلطة التشريعية والنيابية:
مجلس النواب وهو مجلس الاشراف . وجعل من اختصاصهما
سن القوانين ومراقبة ادارة البلاد . فلهما الحق في قبول الشكاوى
والعرائض من الافراد . وتقديم كتب إلى الامبراطور . وتوجيه

الاسئلة للحكومة والاستفسار منها عما أغمض عليهم ما .
ومراقبة المالية

ويؤلف مجلس الاشراف : أولا من أعضاء العائلة
الامبراطورية وهم ١٣ . ثانيا من الحائزين للقب برنس أو
مركيز وعددهم ٤٠ . ثالثاً من الحائزين للقب كونت أو فيكونت
أو بارون الذين ينتخبهم اخوانهم أصحاب هذه الالقاب وهم
١٢٣ . رابعاً من الاشخاص الذين يختارهم الامبراطور نظراً
لخدماتهم التي قاموا بها للمملكة أو لما اشتهروا به من المعرفة
والخبرة ويبلغون ١٠٠ . خامساً ممن تنتخبهم البلاد . وهم ٤٥ .
وقد قرر الدستور اعطاء كل مدينة وكل مديرية حق انتخاب
عضو واحد لمجلس الأشراف بحيث يكون من أكبر الممولين
الذين تثق بهم الحكومة ويكون عمره ثلاثين عاماً على الأقل
وأعضاء العائلة المالكة وذوو الالقاب والذين يختارهم
الامبراطور بنفسه يعينون في مجلس الاشراف للعهود كاه .
أما الذين تنتخبهم الامة فيقضون به سبع سنوات
وقد قال الماركيز « إيتو » في تعليقاته على الدستور

الياباني ما ترجمته : « ان القصد من ايجاد مجلس للاشراف
هو ليس فقط منح الطبقات العالية نصيباً في المناقشات
والمداولات في المسائل التشريعية . بل أيضاً ايجاد هيئة تمثل
البصير والخبرة والثبات ويجتمع فيها رجال خدموا الحكومة
خدمات جليلة الشأن وآخرون مشهورون بالعلم والمعرفة وأغنياء
ذو وثروة واسعة »

أما مجلس النواب فينتخب من الامة مباشرة لمدة أربع

سنوات

وقرر الدستور ان لكل ياباني الحق في ان يكون منتخبا
(بالكسر) اذا كان بالغاً من العمر خمسة وعشرين عاماً على
الاقل ويدفع للحكومة من الضرائب ما لا يقل عن ١٥ ينا
(أي ١٥٠ قرشاً) في العام وله محل مختار في الامة التي يسكنها
من سنة على الاقل قبل مدة الانتخاب . وأن يكون منتخباً
(بالفتح) اذا كان بالغاً من العمر ثلاثين عاماً على الاقل ويدفع
للحكومة ضريبة لا تقل عن ١٥ ينا

وأن يحرم من الدخول في مجلس النواب موظفو القصر

الامبراطوري والنظارات والقضاة ومستخدمو مجلس المحاسبة
ومحصلو الضرائب ورجال الشرطة والرجال الدينيون . وأن
لا يكون منتخبا (بالكسر) أو منتخبا (بالفتح) رجال الحربية
والبحرية . ومن حكم عليهم بالتفليس والاشخاص المحرومون
من حقوقهم المدنية

ولما صدر الدستور بهذه القيود اعترض الكثيرون
عليه لنقر الأهالي وعدم قيام أغلبهم بدفع الضريبة المقررة
وألحوا بوجوب تغييره حتى تتمتع الأمة كلها بالحقوق النيابية
واستمروا يطالبون ويجدون حتى وضع المجلسان في عام ١٩٠٠
قانونا يقضى بجعل عدد النواب ٣٦٩ بعد ان كانوا ٣٠٠ وأن
يكون للمدائن منهم ٦١ نائبا بعد ان لم يكن لها من قبل الا ١٧
وصارت نسبة نواب المدائن لنواب الاقاليم ٢٠ في المائة .
وبتعديل مسألة الضريبة . فجعلها بالنسبة للمنتخبين (بالكسر)
١٠ ين بدلا من ١٥ وأبطلها بالمرارة فيما يخص المنتخبين (بالفتح)
أى انه يصح انتخاب أفقر الناس مادام قادرا على الدفاع عن
مصالح البلاد . وهو العدل المشرف لذوى الكفاءة والاستعداد

وقد أبان المريكز إيتو في تعليقاته على الدستور الياباني ان كل نائب ينوب عن اليابان كلها لا عن المقاطعة التي انتخبته وحدها . وهو المبدأ الذي اتفق عليه رجال الشرائع والقوانين وقرره الدستور انفرنساوى في عام ١٧٩١
أما مرتب النائب في اليابان فقد كان ٨٠ جنيه في السنة لغاية عام ١٨٩٩ ثم جعل ٢٠٠ جنيه

*
* *

اتخذ الدستور الياباني طريقة وسطى بين النظمات المختلفة المتبعة في الدول المتمدنة . فجعل الوزراء أعوان الميكادو ومستشاريه واشترط وجود امضاء واحد منهم بجانب امضائه في كل القوانين والأوامر العالية لتكون نافذة المنعول . وأقام مراقبة مجلسى النواب والاشراف عليهم بصفة فعالة مع حرمانه لهما من حق عزلهم . فلهما أن يسألاهم عن كل أمر ويناقشاهم في كل مسألة ويرفعا الى الامبراطور شكواهما منهم اذا خالفوا رغائب الأمة وجروا على غير مطالبها . وقد تكلم المريكز إيتو على واجبات الوزراء وصرحهم فقال : « ان واجبههم

نحو الامبراطور لا يجبرهم فقط على تشجيع ما هو حسن لديه
واقترح ما هو مرغوب فيه. بل أيضاً على ابعاد ما هو ضار ومساعدته
على العمل بالرشد والصواب. ولذلك هم مسؤولون. وان
للإمبراطور وحده حق تعيينهم وعزلهم. ولكن عليه أن
يراعي في ذلك رغائب الأمة. فدستور اليابان يقضى بالامور
الآتية:

أولاً. وظيفة الوزراء هي تقديم الآراء للإمبراطور
ثانياً. هم مسؤولون مباشرة نحو الامبراطور و«بواسطة»
نحو الشعب

ثالثاً. الامبراطور هو الذي ينظر في أمر مسؤولية
الوزراء لا الشعب. لان له وحده حقوق السيادة العالية في
الحكومة والدولة

رابعاً. مسؤولية الوزراء سياسية ليس الا. ولا علاقة
لها بالمسؤولية المدنية أو الجنائية»

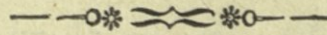
وقد قرر الدستور حقوق مجلسي النواب والاشراف مع
الوزراء فأبان ان لعضائهما الحق في توجيه الاسئلة لهم. فاذا

لم تأت بالغرض المقصود يقدمون مذكرة . فاذا بقيت بلا فائدة يتداولون في الامر ويرفعون كتابا للامبراطور . ولا بد من موافقة ثلاثين عضواً على الاقل ليكون الكتاب حائزاً للقوة اللازمة

وفي اليابان عشر وزارات : الداخلية والخارجية والمالية والحرية والبحرية والعدالة والتربية « والزراعة والتجارة » والمواصلات (السكك الحديدية والتلغرافات والتلفونات والفنارات الخ) ووزارة البيت الامبراطوري . وصاحب هذه الوزارة الاخيرة لا يحضر جلسات مجلس النظار . ويجتمع الوزراء في مركز السياسة المعروف باسم « نايكاكو » ويوجد مجلس آخر بجانب الوزارة وهو « المجلس الخاص » أو « مجلس القدماء » ووظيفته تقديم الآراء والارشادات وهو مؤلف من رئيس ووكيل و ٢٥ عضواً ممن خدموا الحكومة بشرف ونزاهة واخلاص . ويحضر الوزراء جلساته على الدوام

ومرتب الوزير الياباني ٥٠ جنياً في الشهر . فليعجب

المصريون من الفرق الجسيم بين مرتبات وزرائنا الذين لا يعملون
شياً ومرتبات أولئك الوزراء الأحياء العاملين الذين جعلوا
لبلادهم المقام الأعلى بين الدول والممالك. وليندهشوا من إسراف
حكومة لم تبلغ ميزانيتها ١٢ مليوناً من الجنيهات كيف تنقد
الوزير ٢٥٠ جنياً في الشهر على حين أن دولة «الشمس المشرقة»
التي تتجاوز ميزانيتها ٢٥ مليوناً من الجنيهات لا تنقد وزيرها
الأ. ٥٠ جنياً!



مَجْلِسُ النُّوَابِ الْاِحْزَابِ

نظام المجلس . الاحزاب . اعتماد الحكومة عليها . اتفاقها
وافتراقها . الحكومة النيابية . مميزات المجلس الياباني

لم تهتم الامة اليابانية وخصوصاً الطبقة الراقية منها بحادث
من حوادث ذلك الانقلاب الذي غير كل شيء فيها ومحا
التقاليد والنظامات القديمة محواً لا عودتها لها بمدد مثل اهتمامها
بانشاء المجلس النيابي . فقد أدرك كبارها وصغارها انه الضمانة
العظمى لسلامة القانون والحرية لان بقاء السلطة في يد واحدة
لا يكون مأمون العواقب الا اذا كان الحاكم من أصحاب العقول
الواسعة والارادة القوية والرغائب الحسنة والغايات النافعة .
وهو مالا تضمنه الايام لامة على الدوام . فكم من دولة رزقت
بالمملوك الصالحين العادلين ثم رزئت بالفاسقين الظالمين !

ومجلس النواب في اليابان مؤلف نصنه من المزارعين
لان البلاد زراعية . والنصف الآخر من التجار والماليين
وأصحاب المصانع والاطباء والمحامين ورؤساء الشركات

والصحافيين . وقد بلغ عدد النواب من هؤلاء في الانتخاب
الاخير ١٤ واحداً

ونظام المجلس يقضى بأنه متى تمت الانتخابات يصدر
الامبراطور أمره باجتماعه ويتقدم الاعضاء في الجلسة الاولى
الى السكرتير الاول الذي يقوم بوظيفة الرئيس حين انتخابه
وبأيديهم شهادات الانتخاب . وفي اليوم الثاني ينتخب النواب
ستة منهم ثلاثة للرئاسة والثلاثة الآخرين للوكالة فيختار
الميكادو منهم رئيسا ووكيلا . وهو يعين على الدوام الحائز
لاكثرية الاصوات احتراماً لاميال النواب . ثم يجتمعون
للانقسام الى لجان وفرق وانتخاب رؤسائها . وبعد اتمام هذه
الرسوم المقررة يحضر الامبراطور بموكبه الرسمي ويلقى على
النواب خطبة الانتاح التي هي في العادة قصيرة ثم يرفع
المجلسان كتاب شكر لجلالته . ويأخذان بعد ذلك في
مناقشة الاعمال والنظر فيما يعرضه الوزراء عليهما من المشروعات
واللجان في البرلمان الياباني هي روحه الحقيقية . ولا
يستطيع نائب أن يخالف لجنته اذا اقرت أغلبيتها على شيء . واذا

وقع خلاف بين مجلسي النواب والاشرف يعينان لجنة مختلطة
للفصل فيه . ومما يخالف مجلس النواب الياباني فيه المجالس
النيابية في أوروبا ان الوزراء لا يذهبون اليه الا في ظروف
استثنائية ويوكلون أمر المناقشة والجواب على أسئلة النواب
لكبار الموظفين . ويقضون بذلك أوقاتهم في تنفيذ المشروعات
المهدة والقيام بأعباء المملكة . وهم ما يغبطهم عليه وزراء أوروبا
الذين يضيعون أنفسهم الاوقات في الرد على خطب الاشراف الكيين
وأسئلة الذين لا يطالبون من المناقشة والجدال الا نشر أسمائهم
في الصحف وذكر أئوالهم في المجالس والنوادي

ولا يجلس أعضاء الحزب الواحد في مجلس نواب
اليابان بجانب بعضهم كما هو الواقع في المجالس النيابية بأوروبا
فترى الحر مجاورا للمحافظ . وفائدة هذا النظام كبيرة . لانها
تمنع أعضاء الحزب الواحد من التأثير على الخطيب بالمقاطعة
ورفع الصوت اذا كان توله مخالفا لمشربهم . لتعذر تنبيه بعضهم
البعض الى ذلك

وقد انتقلت عيوب المجالس النيابية الأوروبية الى

اليابان. فصار للمال القول الفصل في الانتخابات وهو الأمر الذي
أجمع الكتاب والعقلاء على أنه يبقى ما بقيت الدنيا ويعجز الحكماء
ودعاة السياسيين عن منعه. ولكن اليابانيين لم يقلدوا الغربيين
في المضاربة والملاكمة وجعل مجلس الأمة مسرحاً للفضائح
والاعمال المهجية !

*
* *

أبنا فيما تقدم ان الساموراي هم أهل العلم والادب
والشجاعة وانهم الذين تولوا أمور الدولة وقادوا البلاد وفتحوا
لها أبواب الرقي والعضدة والسيادة. وقد ظهر تأثير احزابهم
القديمة في المنظمات الحديثة ظهوراً جلياً. فاقسم الوظائف
العالية حزبا « شوشيو وساتسوما » اللذان هما أكبر الاحزاب
التي جعلت القوة كل القوة في جنوب المملكة وسهلت للميكادو
الحالي قاب « الشين » وحكومته. فاستقل رجال « شوشيو »
بالسياسة والادارة. ورجال « ساتسوما » بالحربية والبحرية.
وتعادلت القوى بينهما في مجلس النواب. ولكن هذه

السيادة لم ترق في أعين المنتخبين من الامة ورأوها أثرا من
آثار الماضي وبقية من بقايا الامتيازات الخالية . فأخذوا
ينافسون الحزبين ويحاربونهما في المشروعات والمناقشات .
وبذلك وجد النفور غير مرة بين الوزارة والمجلس واضطر
الميكادو لحله واجراء انتخابات جديدة . وقد حل خمس مرات
من أول تأسيسه

وأهم الاحزاب النيابية في اليابان حزب الاحرار
وحزب المتقدمين وحزب الاحرار الاتحاديين وحزب المحافظين
والأول والثاني ثلثا أعضاء المجلس وهما اللذان يعول عليهما
وتهم البلاد بهما وبين أعضائهما رجال الرأي والفكر والنظر وقد
ذكرناهما في الكلام على تاريخ المجلس . وأولهما يكره الاجانب
ويحارب نفوذهم . وثانيهما يميل لمسالمتهم والانتفاع بهم . وقد
افترقا كلمة مدة من الدهر طويلة ولم يتحدا الامرة واحدة كان
الخصام بعدها شديداً

وأسباب وقوع الخلاف بين المجلس والوزارة المرة بعد
المرة هي ان النواب ميالون لنيل كافة الحقوق المخولة لامثالهم

في أوروبا . فهم يريدون أن يكون الوزراء مسؤولين أمامهم
وان يسقطوا الوزارة متى ساءت لهم خطتها . ويغضبهم الآن أن
لا يروا الوزراء الا في النادر وأن يسمعوا في المسائل الهامة
أصوات كبار الموظفين بالنيابة عنهم . ويودون أن يكون المجلس
هيئة سائدة نافذة الامر لا سلطة لها الرقابة العالية والرأي
المحترم فقط

وقد نالت الاحزاب شأنًا ومكانة من نحو عشر سنوات
وصار لرأيها تأثير كبير في سياسة البلاد . وبعد ان كان الوزراء
لا يهتمون بالاعتماد عليها وطلب معونتها صاروا يخطبون ودها
ويستمعون رؤسائهم بزعمائها . فأدخل المركز ايتو الكونت
ايتاجاكي في وزارته الثالثة عام ١٨٩٥ واستعان بالحزب الحر
لتقرير زيادة ميزانية الحربية والبحرية وتنفيذ ذلك المشروع
المشهور ببروجرام ايتو الذي نالت بفضلها اليابان الآن ما نالت
من ظفر ونصر في حربها مع الروس . وسلك الكونت
« ماتسوكاتا » مسلكه عند ما دعا الميكادو لاستلام أزمة
الامور عقب المركز ايتو حيث حالف حزب المتقدمين واعتمد

عليهم في حكمه وتقرير مشروعاته

وحدث في عام ١٨٩٨ حادث كبير لا بد لنا من ذكره
لانه أثر على الحياة النيابية في اليابان تأثيراً عظيماً . وذلك ان
المركز إيتو عرض على مجلس النواب مشروعاً مالياً كبيراً
يقضى بزيادة الضرائب فرفضه المجلس باجماع الآراء . وكان
المركز يراه من الاهمية بمكان ويعتبره ضرورياً للبلاد وحيوياً
لمصالحها ومن الخطأ تأخيرها . فطالب من الامبراطور حل المجلس
لا انتخاب نواب آخرين فأجاب طلبه وصدراً الأمر بحله يوم ١٠ يونيه
فأحدث هذا الأمر انقلاباً حقيقياً في أميال النواب
ورغائبهم وخططهم واتفق حزبا الاحرار والمتقدمين على أن
يطالبا باعطاء المجلس حقوقه الكاملة كلها ومنحه سلطة الاشراف
على الوزارة حتي يكون اسقاطها بيده ولا يبقى هو في قبضتها إن
شاءت تركته وإن شاءت حلتها . واتحاد هذين الحزبين كان
معدوداً من الأمور المستحيلة لان مبادئهما مختلفة وبين مشربيهما
فرق بين . ولكن كراهة الوزارة جمعتهما في حزب جديد
سموه « كنساي تو » أي الحزب الدستوري

وما علم المر كيز إيتو بهذا النبأ حتى رأى من واجبه الوطني
مساعدة خصوم الأمس في مجهودهم النافع الجميل. وعرض
على الميكادو في مجلس الوزراء الذي عقد تحت رئاسته عقب
هذه الحادثة رأيه بهذا الشأن وأعرب عن رغبته في ترك
رئاسة الوزراء لهذه الغاية. فعارضه زملاؤه وقالوا جميعاً إن
مصلحة المملكة تقضى ببقاء الحالة على ما هي عليه. وجاءت
الحوادث بعد ذلك مؤيدة لهم في زمن قصير

ولكن إيتو لم يقتنع بأرائهم وقدم استقالته لمولاه وأشار
عليه أن يختار خلفه إما الكونت أو كوما أو الكونت إيتاجا كي
أى أحد زعمى الحزب الدستورى. فدعاهما الميكادو لقصده وبعد
محادثة طويلة مع كل منهما عين الأول رئيساً للوزارة الجديدة
وظن الكثيرون وقتئذ أن هذا التعيين هو الخطوة الأولى في
سبيل الوصول الى إيجاد « حكومة نيابية » فى اليابان. ولكن
الاختلاف بين حزبي الاحرار والمتقدمين كان كبيراً جداً
فبينما كان الاولون يطلبون التوسع فى نفقات الحربية والبحرية
كان الآخرون ينادون بالاقتصاد وتقليل المصروفات

وكنت إذ ترى الكونت إيتاجا كي يطالب الحكومة بشراء
السكك الحديدية من الشركات تسمع الكونت أو كوما يرفض
اتباع زميله في مشروعه ويقول انه عقيم الفائدة

ولما كانت وزارة أو كوما مؤلفة من أعضاء تابعين

للحزبين فقد ظهر الشقاق فيها وفقدت الوحدة الضرورية لكل

هيئة حاكمة وصار كل واحد من الزعميين ينشر في الجرائد آراءه

في هذه الحالة وأفكاره وشكاويه من زميله وأعلنت الصحف

سيادة الفوضى في قلب الوزارة . ولم يلبث هذا الحال طويلا

حتى تعهد المسيو « أوزاكي » وزير المعارف بوضع حد له

فألقى على أساتذة المدارس خطبة قصد بها حضهم على تربية

الاخلاق وقال فيها :

« ان عدوى انحطاط الاخلاق قدسرت الينا وسعادة

الحال التي أدى اليها الارتقاء الاقتصادي في البلاد جعلت

المال هو الحاكم القوي السلطان . ومن المحتمل ان اليابان

لوصارت جمهورية بعد ألف عام لا تتردد في اختيار مثل

« ميتسوى » أو « إيوازاكي » - أكبر أغنياء اليابان - رئيسا

عليها علي حين ان الجمهوريات العارفة لمقامها واحترامها مثل
الولايات المتحدة لا تفكر مطلقا في اختيار مثل « فندر بلت »
أو « أستور » رئيسا لها »

وما انتشرت هذه الخطبة حتى هاج اليابانيون ضد قائلها
وعدوه عدواً للميكادو وعائلته وأخذت الجرائد تطعن عليه
حتى استقال اجابة لطلب الامبراطور . وقام الجدال بعد خروجه
بين المتقدمين والاحرار على تعيين خلف له : كل يطلبه من
حزبه . ولما اشتد الخلاف وحمي وطيس الأخذ والرد رأى
الأحرار أن لا بد لهم من الانفصال فعدوا اجتماعاً بدون أن
يدعوا رفاقهم المتقدمين اليه . وقرروا باجماع الآراء حل الحزب
الدستورى وتأليفه من جديد من أعضاء أحرار ليس الا .
ونظراً لانهم كانوا أكثر من المتقدمين عدداً اعتبر قرارهم هذا
جائزاً بمقتضى اللائحة التي وضعت عند تأسيس الحزب . ولم
يفد احتجاج المتقدمين على هذا العمل الاستبدادى لأن
الاحرار كانوا قيوداً في دائرة الشرطة خبر الحزب المنحل والحزب
المؤسس طبقاً لشروط القانون

ولما أراد المتقدمون عقد اجتماعهم للنظر في المسئلة صدر اليهم أمر ناظر الداخلية - وكان من الاحرار - بأن ينفذوا لأن الحزب الدستوري القديم أصبح منحلا . وأنذرهم رجال الشرطة بفضهم قهرا إن لم يتفرقوا طوعا

وبذلك خاب النواب في إيجاد حكومة نيابية في بلادهم ومنح المجلس كل حقوقه ورأى الميكادوفيا وقع درسا نافعا له لانه احترم رغائب الشعب وترك الاحزاب تتفق وتفترق بدون أن يتداخل بينها حتي تم لها النشل ودعته حاجات البلاد لأن يختم هذه التجربة العجيبة فأسقط الوزارة ودعا المارشال « يماجاتا » لتأليف وزارة من رجال غير تابعين للاحزاب

وقد غيرت هذه الحادثة أفكار الركين إيتو ورأى بعدها أنه لا بد لليابان من المحافظة على دستورها الحالي . وصرح في سبتمبر عام ١٨٩٩ لأحد الصحافيين بهذا الرأي فقال :

« ان الحكومة النيابية لا تأتي بثمرات محمودة في انكاثرا نفسها وخصوصا في مسائل السياسة الخارجية . ولكني أقول ان وجود احزاب كبرى ضروري لسير الاعمال . وليس

لليابان الآن منها النصيب الوافر ومن الواجب تأسيسها »

*
* *

وإذا كان النواب اليابانيون لم يفلحوا في هذه التجربة فانهم أفلحوا في أشياء أخرى وسبقوا المجالس النيابية الأوروبية في أمور مشكورة . فمن مزاياهم المعدودة انهم يحافظون على سنة الاقتصاد في مالية البلاد محافظة كبرى ولا يسمحون بزيادة الضرائب الا بعد عناء كبير وبمحث دقيق . وقد عادت هذه الخطة بالفوائد الجسيمة على الحكومة والاهالي معاً فعملت الوزراء التدبير والحزم وعودت الافراد على قبول كل ما يقرره المجلس بالشكر والارتياح

ولو قارن المنصف بين مجلس النواب الياباني وبقية المجالس النيابية الاخرى لوجده قد خطا في سنوات قلائل خطوات تذكر وارتقى ارتقاء عظيماً وصار له رأى مسموع ورغبة محترمة . وقد دل على خبرته ومعرفته لمصالح البلاد في الظروف الحرجة والمواقف المهمة . فوافق وزارة « يماجاتا » في عام ١٨٩٨ على تقرير القوانين المالية الضرورية لليابان وقرر ٢٨٤ أمراً نافعاً

في مدة اجتماعه أي في ثلاثة أشهر . وسهل للحكومة تنفيذ
المعاهدات التي عقدت مع الدول الأجنبية
وقد أظهر المجلس وطنية عالية في أيام حرب اليابان مع
الصين فوافق بالاجماع على كل ما طالبت به الحكومة ولم ير
اليابانيون أحزابهم متنفذة الكفاءة متحدة الرأي بلا ضوضاء
ولا نزاع داخلي كما رأوها في تلك الأيام . ولا شك ان مجلسا
فيه هذه الفضيلة العالية يعد في الصف الاول من المجالس النيابية
الراقية . لانه يستجيب على الاجنبي شراء أحد من أعضائه
خيانة الوطن أو تضييع حقوقه كما سمعنا ورأينا في بلاد أخرى
وان هيئة نيابية تقوم على هذا الشعور الحي ولا يوجد
بين أفرادها واحد لا يشارك البقية فيه لكفيلة باسعاد بلادها
واعلاء شأن مملكتها . ولكفيل الزمان بمنحها ما تشاء من
السلطة والنفوذ !

الأمانة والقبضاء

كانت اليابان مقسمة قبل عام ١٨٦٨ الى ثلاثمائة قسم
أو «هان» على رأس كل واحد منها حكم يسمي «دايمو»
يخضع لسلطة الشجن بصفته نائبا عن الميكادو . فلما ألغيت
حكومة الاشراف والالتزامات وتنازل أولئك الحكام عن
حقوقهم القديمة قسمت البلاد الى أقاليم أو «كن» . وجعل
عددها في بادئ الامر ٦٨ ثم صار الآن ٤٣ واختصت
مدائن طوكيو وكيوتو وأوزاكا بنظام خاص لغاية عام ١٨٩٨
ثم خضعت بعد ذلك التاريخ للنظام العام
ويحكم كل اقليم مدير يختاره ناظر الداخلية ويشاركة في
السلطة مجلس من الموظفين وفي كل إقليم جمعية منتخبة من
الاهالي للنظر في مصالحهم وتنبيه المدير والمجلس الى ما يجب
القيام به من الاعمال النافعة
وتقسم الاقاليم الي «شى» أو مدائن و «جن» أو

مقاطعات زراعية . وهذه مقسمة الى « تشو » أو مدائن
صغرى و « سون » أو قري . ويقوم بإدارة المقاطعات
الزراعية وكيل للمدير

والفرق بين المدينة والمدينة الصغرى ان عدد سكان
الاولى يتجاوز ٢٥٠٠٠ نفس . وهي ممتعة باستقلال أكبر
وأوسع من الثانية . ولناظر الداخلية أن يحرم أى مدينة من
الحصول على هذه الصفة وأن يعتبرها مدينة صغرى

وفي كل مدينة مجلسان . المجلس التنفيذي والمجلس البلدى .
ويتألف الاول من عمدة ووكيل ومستشارين . ويتكون
الثانى من مندوبين ينتخبهم الاهالى . والعمدة هو موظف له
مرتبة من الحكومة . يعينه الميكادو لمدة ست سنوات
ويختاره من ثلاثة ينتخبهم المجلس البلدى . ووكيل العمدة هو
موظف أيضا يعينه مدير الاقليم لمدة ست سنوات بناء على
طلب المجلس البلدى

أما أعضاء المجلس التنفيذي فهم منتخبون من الاهالى
البالغين من العمر ثلاثين سنة فأكثر . وهم يقومون بأعمالهم

بلا مقابل

وقد قضى النظام الإداري في اليابان ان يؤلف المجلس البلدي في كل مدينة يبلغ عددها خمسين ألف نفس من ٣٠ عضواً وأن يزداد عدد الاعضاء الى ٣٦ اذا كان سكان المدينة بين خمسين ألفاً ومائة ألف . وأن ينتخب ثلاثة أعضاء عن كل خمسين ألف نفس اذا تجاوز عدد المدينة مائة ألف شخص أى ان المجلس البلدى يكون مؤلفاً من ٣٩ عضواً اذا كان سكان المدينة ١٥٠٠٠٠ شخص ومن ٤٢ اذا كانوا ٢٠٠٠٠٠ وهكذا ولكي يكون الانسان منتخبا (بالكسر) يجب أن يكون بالغاً من العمر خمسة وعشرين عاماً فأكثر ومقيماً في المدينة منذ عامين وممتعاً بكافة الحقوق السياسية وأن يدفع من الضرائب ما لا يقل عن ٢ ين (أى ٢٠ غرشاً) في العام وقد قرر القانون الإداري الياباني منح حق الانتخاب للنساء والشركات التجارية اذا كانت واحدة من ثلاث هي أكثر من يدفع الضرائب بين الاهالى ويصح انتخاب أى انسان للمجلس البلدى مادام ممتعاً

بالحقوق السياسية وبالغا من العمر خمسا وعشرين سنة فأكثر
ولا يشترط قيام المنتخب (بالفتح) بدفع ضريبة ما
ولا ينقد أعضاء المجلس البلدي شيأ على خدمتهم. وينتخبون
لمدة ست سنوات ويجدد انتخاب نصفهم كل ثلاث سنوات
وفي أول كل عام ينتخب أعضاء المجلس البلدي منهم
رئيسا ووكيلا لمدة سنة. ويجوز لكل واحد من الأهالي ان
يحضّر اجتماعات المجالس البلدية لأنها علنية

وفي المدائن الصغرى والقرى يتولى العمدة رئاسة المجلس
البلدي. واختصاصات المجالس البلدية في اليابان هي كاختصاصاتها
في بقية البلاد المتعدنة. لا يعمل عمل الا بأمرها ولا يصرف
درهم واحد بغير ارادتها

وللموظفين في اليابان شأن كبير واحترام عظيم خصوصا
للخائزين منهم لألقاب الشرف أو الذين تعلموا في أوروبا. وقد
قدمنا ان الميكادو تلد العرب في ايجاد لقب برنس أو (دوق)
ومركيز وكونت وفيكونت وبارون. والذي أشار عليه بوضع
هذه الألقاب هو المركيز إيتو. وقد صدر الأمر بها في عام

١٨٨٤ . وتقرر من ذلك الوقت صرف مرتب سنوي من
خزينة الميكادو لأصحابها وتقييدهم بقيود مخصوصة . منها انه لا
يسمح لاحد منهم بالزواج بغير اذن امبراطوري

ومع ان الأفكار الحرة والمبادئ العصرية نمت في اليابان
وأينعت فان الامة لا تزال منقسمة الى ثلاثة أقسام : كبار
الاشراف أو « كوازوكو » وصغار الاشراف أو « شيزوكو »
وهم من الساموراي . وعامة الشعب أو « هيمين » . واحترام
كل طبقة للأرفع منها كبير . وقد بلغ في عام ١٩٠٠ عدد عائلات
كبار الاشراف ٧٠٦ وعدد عائلات صغار الاشراف ٤٣٩٣٨٤
ومجموع أفراد الاولى ٣٨٤٥ والثانية ١٦٦٦٣٠١ من الاشخاص

*
* *

كانت القوانين اليابانية في الازمان الغابرة غير مكتوبة
يحفظها كبار العائلات ويعرفها ذوو المقامات حتى قام البرنس
« شوتوكو » في عام ٦٠٤ بعد المسيح بوضع « السبعة عشر قانونا
الاساسية » . وفي سنة ١٢٣٢ وضع الشجن « هوجو » دستوره
الذي اتبعته اليابان حيناً من الدهر طويلاً . ثم جمع « يوشى

متسو» في سنة ١٧١٦ في كتاب واحد الأوامر العالية والقوانين
التي أصدرها كل شجن تولى. وفي سنة ١٧٤٢ ظهر قانون عائلة
«توكوجاوا» باسم «المائة مادة لعائلة توكوجاوا» وهذه
المواد كانت خاصة بالمسائل الجنائية. ولم يوزع القانون الاعلى
الوزراء والقضاة لان قاعدة هذه العائلة في الحكم كانت: «يجب
أن لا يعلم الشعب بالقانون بل يطيع طاعة عمياء»

ولما خرجت اليابان من عزلتها وقامت من رقادها
ونهضت طالبة نصيبها من مجد الحياة وعزها أوفدت الى
باريس سبعة من موظفي نظارة العدالة لدراسة الشرائع
الفرنساوية وكلفت المسيو «بواسوناد» المدرس بكاية الحقوق
بباريس بالقاء خطب عليهم في القوانين النظامي والتجاري
ثم رأت وجوب استدعائه الى بلادها للانتفاع بعلمه وفضله
وقد اهتم اليابانيون اهتماما فائقا بتنظيم العدالة في المملكة
وجعلها سائرة على اتم نظام حتى يم العدران وتقتنع أوروبا
بان اليابان صارت دولة متمدنة كبقية الدول وتزيل تلك القيود
الثقيلة قيود الامتيازات الأجنبية. ولم يهدأ للساسة اليابانيين

بال حتى بلغت محاكم بلادهم غاية الرقي وضارعت المحاكم
الأوروبية ومحيت تلك القيود ودخلت دولتهم في عائلة الدول
المتمدنة الراقية

وكان أول ما وجهت الحكومة اليابانية عنايتها اليه وضع
قانون العقوبات لانه الكافل للأمن والسلام والأرواح،
فأصدرت عقب ثورة عام ١٨٦٨ منشوراً باتباع قانون عائلة
«توكوجاوا» حين صدور غيره ثم حورته ونشرت «قانونا
جنائياً مؤقتاً». وفي سنة ١٨٧١ أصدرت قانوناً جديداً مشتملاً
على ستة أجزاء ألفته من القوانين القديمة والصينية بعد أن
خففت من شدة أحكامها. وبعد عامين من نشره واتباعه
أظهرت «قانوناً معدلاً» مشتملاً على عقوبات لم تذكر في
القانون السابق ومخففاً شدة بعض الأحكام

ولم تكتف بذلك بل رأت من الضروري وضع قوانين
ملائمة للمدينة العصرية التي أخذت تدخلها في بلادها وكانت
المسيو «بواسوناد» في عام ١٨٧٤ بوضع مشروع لقانون

العقوبات وآخر لتحقيق الجنايات

وقد قام رجلان في هذا الانقلاب القضائي العظيم بخدمة اليابان خدمة كبرى وهما المراكز إيتو والمسيو «أوغني تاكاتو» وزير العدالة . فانهما كانا على الدوام المشرفين على وضع القوانين وتنقيحها المراقبين لاعمال اللجان

وما شرع المسيو «بواسوناد» في القيام بما عهدته الحكومة اليه حتى أصدر المسيو «أوغني تاكاتو» أمراً بإنشاء لجنة مؤلفة من رجال التشريع تحت رئاسته للنظر فيما يضعه واستمرت اللجنة منعقدة والمسيو بواسوناد يحضر جلساتها من سبتمبر عام ١٨٧٥ لغاية يولييه عام ١٨٧٧ . وبعد انتهائها من أعمالها قدمت المشروعين للحكومة . فرأت وجوب عرضهما على لجنة أخرى أكبر من الأولى . وبعد تعديل وتغيير وتحوير طبع القانونان في عام ١٨٨٠ وصدر أمر الميكادو باعتبارهما نافذى المفعول من أول يناير عام ١٨٨٢

وما اطمأنت الحكومة اليابانية باتمام قانونى العقوبات والجنايات حتى كلفت المسيو «بواسوناد» في عام ١٨٧٩ بوضع

مشروع للقانون المدني وآخر للمرافعات المدنية وعينت لمناقشته
في موادهما أولاً ذأولاً لجنة من رؤساء محاكم طوكيو وبعض
موظفي نظارة الحقانية . واستمرت هذه اللجنة تعمل بجد واهتمام
حتى تم وضع القانونين وعرضاهما على لجنة أخرى من بعض
أعضاء اللجنة الأولى ومن بعض الشيوخ واعضاء
مجلس الحكومة واعضاء مجلس التشريع العام . فأدخلت
فيهما تعديلاً يناسب حالة البلاد واحتياجاتها ثم أرسلتهما الى رئيس
الوزارة وبعد أن بحث مجلس الوزراء فيهما ومجلس الشيوخ
والمجلس الخاص أصدر الامبراطور أمراً بهما في عام ١٨٩٠
وباعتبارهما نافذى المفعول من أول يناير عام ١٨٩٣

والتفتت الحكومة كذلك في عام ١٨٨١ الى وجوب
وضع قانون تجارى لان القانون اليابانى القديم كان
لا يميز بين القوانين المدنية والتجارية . فألفت لجنة لهذا الغرض
من الموظفين الواقفين على المسائل التجارية وكلفت المسيو
« هرمان روسلر » المشرع الالمانى الشهير بوضع مشروع
لذلك القانون . فقام بهذا العمل أحسن قيام وبعد أن أتمت اللجنة

النظر فيه وتنقيحه عرضته الحكومة على لجنة أخرى ثم على مجلس الشيوخ وأصدر الميكادو به أمراً في ٢٧ مارس عام ١٨٩٠ وقرر العمل به من أول يناير سنة ١٨٩١ أى قبل تنفيذ القانون المدنى بعامين . ولكن مجلس النواب أقر في أول اجتماع له على تأجيل اتباعه لغاية أول يناير سنة ١٨٩٣ لتكون القوانين كلها نافذة المقبول مرة واحدة ثم عاد في سنة ١٨٩٢ وقرر بالاتفاق مع مجلس الاشراف تأجيل تنفيذ القوانين الجديدة الى أول سنة ١٨٩٧ فاحتج الوزراء على هذا القرار احتجاجاً شديداً وأشاروا على الميكادو بعدم الموافقة عليه . ولكنه احترم ارادة النواب وكان ماقررروا

ورأت الحكومة عندئذ من مصلحة البلاد الانتفاع بهذه الفترة لتنقيح القوانين تنقيحاتاً تاماً فأنشأت في عام ١٨٩٣ لجنة تحت رئاسة المركز إيتو للقيام بهذا الغرض . فنقحت فعلاً المواد الكثيرة ومادخل عام ١٨٩٧ حتى نفذت القوانين الجديدة وسارت المحاكم على النظام الحديث واعترف الاوروبيون بان الشريعة اليابانية قريبة من شرائعهم وأنهم موافقة

لحاجات البلاد ومصالحها . ملائمة للمدنية ومطالبها
والمحاكم مقسمة هناك الى درجات . ففي اليابان ٢٩٩ محكمة
جزئية لقضايا الصلح والمخالفات موزعة بين المدن والقرى و ٤٨
محكمة ابتدائية للنظر في قضايا الجرح وكافة القضايا المدنية
ولتحقيق القضايا الجنائية . و ٧ محاكم استئنافية للنظر في
استئناف الجرح والقضايا المدنية . وفي كل ثلاثة أشهر تؤلف محاكم
للجنايات في محاكم الاستئناف وفي المحاكم الابتدائية أحيانا
وهي مكونة من رئيس وأربعة قضاة يختارون من قضاة محاكم
أول وثاني درجة

وقد انشئت في عام ١٨٧٥ بطوكيو محكمة للنقض
والابرام وهي تنظر في القضايا المدنية والجنائية على السواء
والقضاة في اليابان غير قابلين للعزل . اللهم الا اذا صدرت
منهم أعمال تستحق الاحكام التأديبية أو الجنائية وهم يعولون
في نظر القضايا وإصدار الاحكام على النتائج التي يقدمها المحامون
ويجرون في ذلك على خطة الرومانيين وقدماء المصريين الذين
كانوا يخافون تأثير البلاغة والبيان على عقول القضاة

المالية

العناية الكبرى بالمالية . نفقات محو النظمات القديمة ورد الاراضى
للفلاحين . المالية قبل الحرب مع الصين . حالتها عقب الحرب .
النفقات الجديدة لتقوية البحرية والبحرية . الديون . زيادة الايرادات .
الضرائب

أبدي ساسة اليابان من أول عهد الحكومة الجديدة
حكومة الميكادو الحالى . اهتماما عظيما وعناية كبرى بالمالية
لعلمهم انها قلب المملكة الذى يوزع الدم على سائر الاعضاء وان
فى استقامة أحوالها تقديما عاما لكل فروع الحياة القومية وصيانة
لاستقلال البلاد . وقد عرف القاريء مما قدمنا ان المراكز
إيتو والكونت أو كوما هما صاحبا الفضل الاكبر والايادى
البيضاء فى اصلاح المالية وتنظيمها وترقيتها حتى صارت من
أحسن ماليات العالم كله . تضرب بها الامثال فى الدقة والجري
على أقوم وأمتن الاساليب
ولم يكن تنظيمها بالامر اليسير حتى يتصور انسان ان

هذين الرجلين العظيمين لم يكونا فيما عملاه إلا مقلدين لأوروبا
ونظاماتها . فقد كانت البلاد خارجة من أزمة شديدة تركت لها
أحمالا ثقالا وكان من الواجب انقاذها من ورطات الماضي لتنال
في العهد الحديث كل ما تطمح النفوس اليه من سعادة في الداخل
وسيادة في الخارج وحرية عالية المنار وسلطان رفيع اللواء .
فكان لا بد من قيام الحكومة بسداد ديون حكام الاقاليم
الذين كانوا لكثرة ما يأخذهم الشجن منهم يستدينون غير
حاسبين للمستقبل حسابا

وكان من المحتم دفع تعويضات مالية لهم وللساموراي
مقابل تنازلهم عن حقوقهم القديمة . لاسيما وان الاراضي كانت
في قبضة الاشراف ولم يكن الفلاحون الامستأجرين . فرأت
الحكومة ان العدالة الصحيحة تقضي برد الاراضي الى اصحابها
الحقيقيين أي الفلاحين وأن لا نجاح للبلاد بغير هذه الطريقة
التي قضت انكلترا الأعوام الطوال لقبولها والاعتراف
بمنفعتها في ايرلندا فقررتها أخيراً واستدانت مائة ألف جنيه
لدفع ثمن الاراضي الايرلندية الى اللوردات وأخذها مع فوائدها

من الاهالى على أقساط

وقد أظهرت الحكومة اليابانية براً برعاياها لم تظهره
حكومة في العالم فردت للمزارعين الارض بدون أن تطالبهم بثمنها
أو بما دفعته للاشراف ليتنازلوا عن حقوقهم

وفضلاً عن ذلك فإن الميكادو كان قد منح في عام ١٨٦٨
معاشات لمن ساعدوه في قلب حكومة الشجن وأيدوه في
سياسته الوطنية . وكان بعضها للعمر كله والبعض الآخر راثياً
فأرت الحكومة من مصلحتها دفع عوض مالى مقابل هذه
المعاشات حتى لا تكون عبأً أبدياً على الميزانية

ولم يكن حل كل هذه المسائل في كلمة يخطها قلم على
قرطاس أو في أمر إمبراطورى ينفذ طوعاً أو قهراً . لان
حكومة الميكادو أرادت أن تعرف رعاياها كيف تكون
العدالة ويكون الانصاف . وأن تقوم هى نفسها على أسس
فبدأت بدفع ديون الاشراف . وقسمتها الى أقسام
اشترت قسماً منها بمبلغ سبعة ملايين ين ونصف دفعت ثمنه
نقدًا . وعقدت سلنتين إحداهما بأحد عشر مليونين والثانية

بأثني عشر مليوناً ونصفاً وخصصت الأولى لدفع الديون السابقة لعام
١٨٦٨ والثانية للديون التي اقترضها الاشراف من ذلك العام
الى سنة ١٨٧١ أى الى تاريخ محو حكومة الالتزامات .
وقررت صرف الأولى على مدة خمسين عاماً وعدم منح
أصحابها فائدة ما والاخري على مدة أربعة وعشرين عاماً
واعطاء أصحابها فائدة ٤ في المائة . وسحبت الاوراق المالية
التي كانت قد سقط اعتبارها وغيرها بسندات باسم الحكومة
كلفتها نحو ٢٣ مليونين . أى انها اضطرت لانفاق مبلغ ٤٤
مليونين (أى ٤٠٠٠٠٠٠ ربه جنيه تقريبا)

ولما انتهت من تسوية هذه الديون نظرت في أمر
المعاشات التي يتناولها الاشراف مقابل تنازلهم عن الاراضى
التي كانوا يستغلونها أو مقابل اخلاصهم للميكادو وقيامهم هم
والساموراى بتعزيده ضد الشجن . وكانت تبلغ عشرة ملايين
هيكترولتر من الارز في العام مما كان يقدر في ذلك الوقت
بخمسة وعشرين مليونين . وعندما عرضت هذه المسئلة على
مجلس النظار لم يرتفع صوت واحد بطلب محو المعاشات محواً

استبداديا كما كانت تفعل أغلب حكومات الشرق في مثل ذلك الموقف . بل أجمع الكل على وجوب دفع تعويضات كافية وافية عادلة لا يدعي معها أحد الظلم أو ينسب للحكومة الاجحاف . وقرروا بناء على اقتراح الكونت أو كوما تطبيق هذه القاعدة على المعاشات الصغيرة في أول الامر ثم تنفيذها على الكبيرة بصفة تدريجية . وصدر قانون أمبراطوري فحواه ان الحكومة مستعدة لان تدفع لكل من يتناول معاشا سنويا لا يزيد عن ١٨٠ هيكتولترا من الارز مرتب ست سنوات اذا كان معاشه وراثيا ومرتب أربع سنوات اذا كان للعمر فقط . وأن تدفع نصف المبلغ نقدا وتعطى بالنصف الآخر سندات مالية على الحكومة بفائدة ٨ في المائة

وما انتشر خبر هذا القانون حتى أمطرت الطلبات على وزير المالية من كل ناحية وارتاحت الخواطر اليه في كل بلد وشعر أصحاب المعاشات بأنه مفيد للحكومة وغير ضار بهم فقبلوه مرتاحين . وازدادت الحكومة ثقة بصلاحيته فعمدته على المعاشات الزائدة عن ١٨٠ هيكتولترا من الارز . ثم أصدر

الميكادو في عام ١٨٧٦ أمراً بأن تغيير المعاشات يصير اجبارياً من أول سنة ١٨٧٧ . وتقرر صرف العوض المالى لمدة سنوات كثيرة اذا كان المعاش قليلا وبالعكس . وجعلت المدة بين خمسة أعوام وأربعة عشر عاما . واعتبرت الفائدة ٧ في المائة للمعاشات الصغيرة و ٥ في المائة للمعاشات الكبيرة

وقد دفعت الحكومة بذلك سندات للاشراف والساموراي وبعض رجال الدين بما يقدر بمبلغ ٢١٠٩١٠٤٥٧ يونا (أي ما يزيد عن ٢١ مليوناً من الجنيهات) . وهو مبلغ جسيم . ولكن الحكومة استراحت به على ممر السنين لانها كانت تدفع للمعاشات سنويا مبلغ ٢٥ مليون ين كما قدمنا . وصارت تدفع بعد ذلك ١٢ مليون ين في العام كفوائد للديون التي اقترضتها لهذه الغاية . ثم أخذت تسدها شيئاً فشيئاً

واهتمت بعد اتمام هذه الاصلاحات المالية العظمى بترقية حالة البلاد وثروتها فأسست « بنك اليابان » ومدت خطوط السكك الحديدية وساعدت الافراد وذوى المهتم على انشاء شركات للملاحة . وخطت الزراعة والتجارة والصناعة

خطوات واسعة بفضل عناية الحكومة وعدالتها . وبالجملة
نهض جسم المملكة كله نهضة قوية وأبدي كل عضو من
أعضائه مهارة وحياسة ومعرفة فيما عهد اليه . حتى جاء عام ١٨٩٤
وقامت الحرب مع الصين . ودولة الميكادو على هذا الحال من
الارتقاء وسير المالية على أتم نظام

*
* *

تبتدىء السنة المالية فى اليابان من أول ابريل وتنتهى
فى آخر مارس . وقد كانت الايرادات فى ميزانية عام ١٨٩٣ -
١٨٩٤ أى قبل الحرب بأشهر قلائل ٨٩٠٤٢١٣٠ يناً يقابلها
من المصروفات مبلغ ٨٤٥٨١٨٧٢ (أى نحو ثمانية ملايين
ونصف من الجنيهات)

ولما جاءت سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٧ كان لدى الحكومة مبلغ
٣٩ مليون من متوفرة من زيادة الايرادات عن المصروفات
ولم يكن يتجاوز دينها ٢٨٣ مليون من . مما يدل على ان الحالة
المالية كانت زاهرة فى تلك السنين وان اليابان لم تطرق باب
النفقات الباهظة الا بعد حربها مع الصين . وقد قررت لهذه

الحرب مبلغ ٢٠٠ مليون ين عولت على اقتراضه . ولكنها لم
تصرف سندات مالية لغاية عقد الصلح الا بمبلغ ٨١٨٠٠٠٠٠٠
ين وكان لا بد لها من صرف بقية النفقات الحربية فرأت أن
تدبرها بدفع ٨٠ مليون ين من الغرامة الحربية و ٢٣٤٣٠٠٠٠٠
ين من المال المتوفر لديها و ٣٨٨٠٠٠٠٠ ين من الهبات التي
قدمها سراة اليابانيين . وأن لا تعرض من سندات الساقطة الا
ما يقدر في المجموع بمبلغ ١٢٥ مليون ين أى انها تبيع سندات
بمبلغ ٤٤ مليون ين غير التي باعها لغاية عقد الصلح . وبذلك
وجد لديها مبلغ ٢٣٢٣١٠٠٠٠٠ ين . ولم تكفها الحرب مع الصين
اكثر من ٢٣٠ مليون ين أى ان نفقاتها زادت ٣٠ مليون ين
عما قدرته الحكومة قبلا

ولكن كل هذه الاجراءات التي قام بها ساسة اليابان
بغاية الحزم والمهارة لم تؤثر على مالية البلاد ولم توقعها في
أزمات الدين . غير ان روسيا وفرنسا وألمانيا
أحدثن انقلابا عظيما في قوى اليابان واستعدادها وماليتها
حيث تداخلن عقب حربها مع الصين وانتصارها عليها

وحرمنها ثمرات ذلك النصر المبين وأخرجنها من شبه
جزيرة «لياوتنج» وبورآرثرو ومنعنها من مديدها الى كوريا. وبالغن
في اضطهادها وظلمها فتركن الروسية تحتل المواقع التي أرغمنها
على مبارحتها وتحل محلها في كل مكان. ذأبت وطينتها أن
ترضى بهذه المظلمة ولم ترضخ عزتها الاهلية لهذا العدوان
القبيح. بل كظمت غيظها وأخذت تستعد لطرد الروس من
الشرق الاقصى والاخذ بالثار لنفسها من الدولة القيصرية
التي غدرت بها غدراً لا تنساه أمة ذات شمم وكرامة. فقررت
مضاعفة عدد جنودها. فبعد ان كان الجيش مؤلفاً من ستة فيالق
صار الآن مكوناً من اثني عشر فيلقاً. وأصبح عدده في السلم
١٥٠٠٠٠ رجل وكان لغاية عام ١٨٩٥ - ١٨٩٦ لا يتجاوز ٧٥٠٠٠
رجل وأبلغ في مدة الحرب الى ٥٢٠٠٠٠ وكان من قبل بين
٢٧٠٠٠٠ و ٢٨٠٠٠٠ جندي. ووضعت للبحرية مشروعاً
جديداً يقضى بجعل أسطولها مؤلفاً من ٦٧ بارجة منها
٧ مدرعات من الدرجة الاولى حمولتها ٢٥٨٠٠٠ طن (ومعها
١١ ضد الطوريبيل و ١١٥ طوريبلا) . ولم يكن لديها قبل

الحرب مع الصين الا ٤٣ بارجة حمولتها ٧٨٠٠٠ طن و٢٦
طوربيلا ولم يكن في الاسطول الياباني مدرعة واحدة .
وشرعت تقيم الحصون والقلاع والاستحكامات في كل الجهات
ولم تكف بهذه النفقات الحربية والبحرية الهائلة . بل
قررت زيادة خطوط السكك الحديدية والاسلاك التلفونية
والتلغرافية وتشيد القناطر الضرورية ومساعدة المراكب
التجارية وشركات الملاحة وانشاء كلية ثانية في كيوتو .
وبالجملة لم تترك نقصا حتى سدته ولم تتول منفعة ناشئة حتى
انتمها وجعلتها مصدرا للخير والاسعاد

وكان لا بد من صرف مبالغ وافرة لتنفيذ هذا المشروع
الجسيم الذي خصص فيه للبحرية و٢٢٦ مليون ين وللحربية
٨٢ مليون ين وللتحصينات والنفقات الحربية الاخرى ١٦
مليون ين ولبقية النفقات ١٩١ مليون ين . حتى بلغ المجموع
٥١٥ مليون ين (أى ٥١ مليوناً من الجنيهات ونصف مليون) .
وقد تقدم المركز ايتو لمجلس النواب والاشراف بهذا المشروع
وشرح أهميته وضرورته الحيوية للبلاد فوافقا عليه باجماع

الآراء وتقرر توزيع النفقات على عشر سنوات تبتدىء من
عام ١٨٩٦ - ١٨٩٧ وتنتهي في عام ١٩٠٥ - ١٩٠٦
وللحصول على هذه المبالغ الطائلة قررت الحكومة
صرف الغرامة الحربية الصينية ومقدارها ٢٣٠ مليون «تال»
أى ٣٤١ مليون ين وقد دفعت الصين منها ٥٠ مليون تال في
نوفمبر عام ١٨٩٥ وسددت البقية في مايو سنة ١٨٩٨ وقد
قدمنا ان الحكومة خصصت منها مبلغ ٨٠ مليون ين للنفقات
الحرب . فيكون الباقي منها ٢٦١ مليون ين . وكان المتوفر
لدى الحكومة يبلغ ٣٩ مليون ين كما ذكرنا ذلك قبلاً ثم بقي
عندها من ميزانية عام ١٨٩٦ - ١٨٩٧ مبلغ ٥ ملايين ين .
وقررت غير ذلك عقد سلعة بمبلغ ١٣٥ مليون ين . وبذلك
صار لديها مبلغ ٥١٩ مليون ين أى أكثر مما تحتاج اليه
بأربعة ملايين ين

وقد أبننا في الكلام على الاعمال العظيمة التي تمت في عهد
الميكادو الحالى ان اليابان أدبت قرصان جزيرة « فورموزه »
في عام ١٨٧٤ ثم تركتها للصين بعد أخذ غرامة منها . ولكنها

رأت بعد حربها معها في عام ١٨٩٤ ابقاءها لنفسها لذاتتها لها
فأبقتها وقررت منحها مساعدة سنوية لمدة بضعة أعوام بمبلغ
٦ ملايين ين لاصلاحها وترقية شؤونها . فكان لا بد مع هذا
الحمل الجديد من زيادة مبلغ ٢٥ مليون ين على السلطنة لان
الخبيرين بحالة « فورموزة » رأوا انه لا بد من مدها بهـ هذه
المساعدة مدة أربع أو خمس سنوات على الاقل . أي ان
اليابان اضطرت بعد حربها مع الصين الى عقد سلطنة بمبلغ
٢٤٠ مليون ين . وصار من الامور المحتمة عليها كذلك زيادة
ميزانيتها زيادة كبرى بسبب كثرة القوى الحربية والبحرية
وقد أخذت الحكومة اليابانية الجانب الاكبر من
السفحة من اليابانيين أنفسهم لانهم ينثرون على الدوام من
الاستعانة بالاجنبي ويرون باستياء وتألم عقد قرض في الخارج
لمخالفة ذلك لمبادئهم الوطنية ولانهم يخافون شر التداخل
الغربي في بلادهم . حتى أنك تجد خمسة أسداس ديون اليابان
— وهي لم تتجاوز ٥٠ مليوناً من الجنيهات قبل الحرب الحاضرة —

لليابانيين أنفسهم . وقد قررت الحكومة اليابانية سداد الدين
كاه لغاية عام ١٩٣٨

ولا شك انه دين خفيف جداً اذا قارنا بينه وبين ديون
الدول الاخرى التي تعداد سكانها مثل اليابان وقوتها في البر
والبحر معادلة لقوتها . وحسب دولة الشمس المشرقة فخاراً انها
لم تستدن الا هذا المبلغ وقد بلغت ما بلغت من حضارة وعمران
ورقى وعظمة وسلطان على حين ان مصر فقدت استقلالها
ووجودها السياسى واضاعت قنال السويس واستدانت فوق
ذلك كله ضعف دين اليابان !!

*
* *

قدرت ميزانية اليابان فى العام الماضى من نفقات عادية
واستثنائية بنحو ٢٥ مليوناً من الجنيهات بعد ان كانت لا تبلغ
تسعة ملايين فى عام ١٨٩٤ أى انها زادت فى تسع سنوات
١٦ مليوناً . وهي زيادة كبرى دعت اليها النفقات الحربية والبحرية .
مما يدل القارئ على ان اليابان ضحت كل شئ فى سبيل الحرب
الحاضرة واستعدت لها استعداداً عظيماً وانتهكت قواها للفوز

فيها وباتت لا تقبل الحياة بغير الانتصار على عدوتها التي حرمتها
ثمرات فوزها على الصين ظلماً وعدواناً

وقد أبدى المليون اليابانيون مهارة فائقة ودراية عجيبة
في تنمية إيرادات بلادهم . فباعوا من أراضي الحكومة وأملاكها
ما استغنوا عنه . وزادوا الضرائب وقرروا رسوماً جديدة على
المبيعات والتسجيلات . وغيروا الرسوم على المشروبات الروحية
تغييراً عاد على الميزانية بالفائدة . وضاعفوا رسوم الجمارك بعد
تحويل المعاهدات الدولية وتجديدها . واحتكرت الحكومة
الدخان فزادت إيراداتها ٨ ملايين ين في السنة . ونمت كذلك
إيرادات السكك الحديدية والتلفونات والتلغرافات نمواً كبيراً
وتضاعف بعضها

ولاقت الحكومة صعوبات حمة في زيادة الضرائب
العقارية فعارضها النواب المرة بعد المرة ولم يجيئوها الي طلبها
الا بعد الجهاد العنيف والمساعي الكثيرة . ومع ذلك فان الياباني
لا يزال يدفع من الضرائب أقل من سواه . فقد قدر رجال
الاحصائيات المالية ان كل فرنساوي يدفع لحكومته في

العام من ٧٠ الي ٧٥ فرنكا والايطالى ٤٠ فرنكا والمصرى
٢١ فرنكا والروسى ١٦ فرنكا علي حين ان اليابانى لا يدفع الا
٧ فرنكات و ١٠ سنتيمات

ويستدل من مراجعة الميزانية اليابانية على ان النفقات
العادية والاستثنائية للبحرية بلغت ٥٠١١٠٠٠٠٠٠ ين فى عام ١٩٠١
و ١٩٠٢ وللبحرية ٣٨٥٢٠٠٠٠٠٠ ين وهى آخذة فى الارتقاء على
الدوام لزيادة عدد الأمة ونمو الثروة فيها. وتقدر زيادة الشعب
اليابانى فى كل عام بما بين ٤٠٠٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة. وبديهي
ان هذه الزيادة التى لا تحلم بها فرنسا وغيرها من الممالك مما تقوى
اليابان فى كل فروع الحياة ويجعلها قادرة على تحقيق آمالها
ومطامعها عاجلا فى الشرق الاقصى

التربية والتعليم

تربية النفس . الشهامة والمحبة الوطنية . التعليم في الزمن القديم
المدارس في العصر الحديث . المدرسون الاجانب والوطنيون . أخلاق
الطلبة اليابانيين . تربية البنات . اللغة اليابانية . هم الافراد في نشر
التعليم . كراهة اليابانيين للاجانب

اتفق الفلاسفة والحكماء وعلماء التربية على ان العائلة
هي المدرسة الاولى وأنفع المدارس كلها لان المبادئ التي يتلقاها
الانسان فيها تعد المادة الحيوية للعلوم والمعارف التي يغذى
بها عقله ولبه وروحه . والاساس لقوام حياته ووجوده . وبديهي
انه اذا كان الاساس متينا قويا قام البناء وبقي راسخا . لا
تزعزعه الحوادث ولا تؤثر عليه الزوابع . وبالعكس اذا كان
مختلا فاسدا لا يلبث البناء حتى يتداعى ويزول

وقد وجد اليابانيون من قديم الزمان في عائلاتهم أصح
مبادئ التربية وأسلم أصولها . فنشأوا على الشهامة والفروسية
واحترام الموت وحب الوطن والتفاني في خدمته واعلاء شأنه .

ورباهم أبائهم وأمهاتهم من أيام طفوليتهم على اعتقاد الخير
والرفعة في الامة اليابانية والنظر اليها بعين الاجلال والاعظام
والتفاخر بالانتساب اليها واعتبارها أفضل الامم وأجل الشعوب.
ولا غرابة اذا بلغ اليابانيون بفضل هذه التربية ذلك الشأ الذي
نغبطهم عليه ونهضوا بيلادهم في سنوات معدودة تلك النهضة
التي تركت العالمين حيارى مندهشين

وليست العناية بالتربية والتعليم في اليابان حديثة . بل
اهتم القوم بها قبل أوروبا بقرون وأجيال . وتولى رجال الدين
أمرها بين طبقات الشعب . وكان في كل مقاطعة مدرسة كبرى
غير مدارس القري والمدائن

واختص أبناء الساموراي والاشراف بدراسة العلوم
العالية في كلتي كيوتو وطوكيو حيث كانوا يتعدون الفلسفة
الصينية وآداب اللغة اليابانية وأهم مؤلفات الصين . وكانت
المدارس مقسمة الى ثلاثة أقسام: ابتدائية وثانوية وعالية . وأهم
ما كان يدرس بها « الواجبات الادبية للانسان » و « الكتب الاربعة
الحكيمة لقومفسسيوس » و « كتاب واجبات الابناء نحو

الآباء» و «كتاب سلاله عائلة الميكادو» و «واجبات الأرب والطاعة» و «كتاب الابلال المشهورين بالشجاعة والاقدام» وغير ذلك من المؤلفات التي كانت تبعث الحمية في النفوس وتهذب الاخلاق وتربى الشهامة والجرأة وتقديم الروح فداء للشرف. وكان للالعاب الرياضية والتمرينات العسكرية نصيب وافر في ساعات التعليم ليقترن نمو الفكر والروح بنمو الجسم. وكانت تعقد في المدارس حفلات سنوية لاختبار الطلبة ومكافأة الكفاء والمجدين منهم. وأسعدهم حفا من كان يعطى ثوبا أبيض عليه رسم أسلحة الشجن لانه كان يعتبر اسماً مكافأة يعظم لابسها ويجل من الكبير والصغير. أما العقوبات فكانت الحبس والضرب بالكرباج وتحميل الطالب لوحه على رأسه مدة ساعات طويلة

وقد كان لرجال الدين البوذي الشأن الاول في تعليم الامة اليابانية وتربية أطفالها فخصوا قسماً من المعابد للتدريس ولبثوا مدة عشرة قرون القائدين للشعب المرشدين له. الى أن تولى أمور البلاد الشجن «ياس» ودعا الناس لترك «بوذا»

ومبادئه والاستعانة بانوار « قوم نيفسيوس » وتعاليمه للوصول
الي أرقى المعارف الدنيوية والآداب المرغوبة . وكان من
مصاحته الكبرى تحويل تيار التعليم في البلاد ونشر دين
قوم نيفسيوس وأحكامه لانه يأمر الابناء بطاعة الآباء ويوجب
الي الجميع الخضوع للامير والحاكم وقد استخلص « يياس » منه
القواعد الاساسية لحكومته فأصدر كتابه المشهور « بالمائة
قانون » وقال فيه :

« انه يجب علي كل فرد من الرعية أن يكون مستعداً
علي الدوام لتقديم قواه وذكائه وأملاكه خدمة للإمبراطور .
وأن يضحى الابن ذلك لمنفعة أبيه والتلميذ لصالح أستاذه .
لانه مدين للإمبراطور بغذائه ولاهله بوجوده ولأستاذه
بمعارفه . ولا معنى للحياة بغير هذه المزايا الثلاث »

*
* *

وقد قدمنا ان بعض اليابانيين الشغوفين بمعرفة ما يجري
في أوروبا اختلطوا قبل ثورة عام ١٨٦٨ بالهولانديين في ثغر
« نجازاكي » واستنمادوا منهم فوائد جسيمة . ولما جرى

الانقلاب الحديث ورجعت السلطة الى الميكادو صاحبها الشرعي
ورأي اليابانيون انهم لا يقاومون أوروبا بالابعلمومها واختراعاتها
ولا يستطيعون مجاراتها ومنافستها الا بأسلحتها الحديثة اهتمت
حكومتهم بالتعليم والتربية اهتماما جاوز كل حد فأرسلت
الارساليات الى أوروبا وأنشأت في عام ١٨٧١ نظارة المعارف
ووضعت القوانين الخاصة بها المنتخبة من أوفق نظمات المعارف
في أوروبا واختارت لها أفضل الناس وأصلحهم لتسييرها في
الطريق النافع وأصدر الميكادو منشورا على التربية أبان فيه ان
الغرض منها هو اخراج رجال يفدون الوطن والامبراطور
بأرواحهم. واستمرت عناية الحكومة بالمدارس في ازدياد
حتى صار التعليم في اليابان الآن بالغا غاية الانتشار والرقى.
وحسب القارئ أن يعلم ان في أحقر القرى اليابانية المكاتب
والمدارس وان الجهالة تعد عارا كبيرا حتى بين صغار الفلاحين.
وان المدارس العالية لتخرج المدرسين منتشرة في كل النواحي
وان لكل حرفه مدارس. وان كلتي طوكيو وكيوتو من اكبر
كليات العالم وأنخمها بناء ونظاما واستعدادا. وان مدارسها

العالية تضارع أرقى ماشيدته حكومات الغرب وأمريكا لتخريج
المشرعين والمهندسين والاطباء والعلماء في كل علم وفن. وقد
وصل مجموع المدارس الرسمية والاهلية في عام ١٨٩٧ الى ٢٥٣٧٥
مدرسة وصار ٢٨٤٠٤ في عام ١٩٠١. منها ١٧٦٢ قامت بهم
الافراد. وكان عدد الطلبة ٣٢٨٥٧١٠ في عام ١٨٩٧ فصار
٤٠٣٠٩٧٣ في عام ١٩٠١ منهم ١٤٨٨٥٨ يتعلمون في المدارس
الاهلية. وبلغت نسبة الاطفال الذكور الذين يتعلمون لعدد
اطفال المملكة كلها ٧٩ في المائة. بعد ان كانت ٧١٫٦٦ في عام
١٨٩٧. وبلغت نسبة البنات المتعلقات الى كافة بنات اليابان
٤٧٫٥٤ في المائة. بعد ان كانت ٣٦٫٤٦ في عام ١٨٩٧. ولا بد
أن هذه النسبة ارتقت في الثلاث السنوات الاخيرة ارتقاء
كبيراً كما انه لا شك في انها ستكون مائة في المائة بعد قليل
من الاعوام. لانها كانت قبل عام ١٨٦٨ ضعيفة جداً. فلم
يكن يتعلم من البنين الا ٤٠ في المائة ومن البنات الا ١٥ في
المائة. والفرق جسيم بين ما كان التعليم عليه يومئذ وما وصل
اليه الآن

وقد قسمت كلية طوكيو الى ستة أقسام : للحقوق .
والطب . والآداب . والعلوم . والزراعة . والهندسة . وكان بها
في عام ١٩٠١ من المدرسين ١٧٥ أستاذاً ومن الطلبة
٢٠٠٠ واحد

ولما أنشأت الحكومة هذه المدارس وأخذت تنشر
التعليم في البلاد استعانت بالمدرسين الاجانب في بادئ الامر
لتنفع بمعارفهم وتربي على أيديهم رجالاً قادرين على القيام
مقامهم ومحو كل أثر للتدخل الاجنبي في البلاد . ولم تمض
بالفعل سنوات معدودة بعد تعيينهم حتى زودتهم بالشكر
والثناء وعينت غيرهم من اليابانيين وأصبحت دولة الشمس
المشرقة اليوم تسير وحدها في سبيل الرقي وتطرق أبواب
التقدم بيد قوية غير متكئة على عصا الغرب والغربيين
ومرتبات المدرسين في اليابان قليلة جداً . نعم ان المعيشة
ميسورة هناك ولكن الحكومة اضطرت لتقليل مرتبات
المعلمين لشدة حاجتها للمال وانفاقها الجانب الاكبر منه في
الحربية والبحرية . فترى ما يصرف على الذين يتعلمون في

المدارس الابتدائية وعددهم ٣٨٧٢٧٩٤ لا يزيد عن ١٥٥٢٦١٠١
ين وأساتذتهم لا يتجاوزون ٥٨٢٥٦ واحداً . وقد ينزل مرتب
المعلم في المدارس الصغيرة الى جنيه واحد في الشهر . وغاية
ما يصل اليه مرتب اكبر المدرسين في كلية طوكيو ١٢٠٠ ين
في السنة أي ١٢٠ جنيهاً ! الا انهم مع ذلك يبذلون غاية الجهد
في القيام بواجباتهم لاعتمادهم جميعاً انهم في الصف الاول من
خدمة اليابان وان المرتب ليس الا مكافأة أو مساعدة من
الحكومة وأن أجرهم الحقيقي هو النفع العظيم الذي يعود
على بلادهم من أعمالهم ودروسهم

وقد أجمع كافة المؤلفين الأوربيين والأمريكيين الذين
كتبوا على اليابان ان الطلبة فيها مثال الأديب واحترام الاساتذة
وانه لم يسمع ان واحداً منهم خالف الواجب نحو معلمه أو
قصر في حقه . فضلاً عما لهم من صفات سامية امتازوا بها .
فهم أهل جد ونشاط يواصلون الليل بالنهار في تحصيل العلوم
والمعارف والفنون ولا يعتقدون ان أمامهم صعوبة أو أمراً
محالاً ويرون الاوروبي دونهم ذكاء ونباهة وسلامة في الفطرة .

وكل واحد منهم يعتقد في نفسه انه قوة من قوي بلاده وانه
اذا تقاعس عن الجد والتعلم اضع على وطنه جزءاً من ثروته
وقواه وجني عليه اكثر من جنايته على نفسه . أما البنات فقد
رأت الحكومة عدم منحهن حرية أخواتهن في أوروبا وابقاء
التقاليد القديمة على حالها مع التوسع فيما فيه فائدة لتقدم الامة
وترقية العائلات وفتح أبواب المكاسب للفقيرات من بنات
الشعب . ففتحت لهن مدارس الصناعة وبالخصوص صناعة الحرير
وسهلت لهن الوصول اليها وجعلت لهن قسماً خاصاً في كل
مدرسة فنية أو علمية وعينت بعض الأورويات الماهرات
لادارة شؤونهن وارشادهن

وترقى الكبراء في تربية البنات فعدوهن اللغات والآداب
الاجنبية حتي ان السائح يجد في طوكيو والمدائن المهمة من
نساء بعض الموظفين من تضارعن سفيرات أوروبا علماً وأدباً
وفضلاً وبيانا . وبنات الطبقتين الوسطى والصغرى تقرأن
بنوع خاص كتب الآداب وواجبات الزنثاة والزوجة والام
وتنظيم المنزل . وفي اليابان كتاب من لم تحفظه تعد ناقصة

التربية وهو « هياكونين ايسهين » أو مجموعة مائة قصيدة شعرية وضعها شعراء مختلفون وضمونها حياة أشهر النساء ونصائح للسيدات . وهو خير مؤلف يربي البنات علي حب الفضيلة والعصمة والتمسك بالشرف وراحة الزوج وتفريج كربه وهمومه . ويعلمهن تربية البنين والبنات - متى صاروا أمهات - علي حب الوطن والشمم وكرامة النفس وقد فكر بعض اليابانيين في اتخاذ اللغة الانكليزية لغة للامة كلها لما في لغتهم من الصعوبة وكثرة الكلمات . ولكن هذا الرأي لم يجد قبولا من عقلاء المملكة وكان يقابل بالرفض العام لو عرضته الحكومة علي الامة . واللغة اليابانية الحالية هي مؤلفة من اللسان الياباني القديم المعروف باسم « ياماتو » ومن اللغة الصينية . ولم يكن يتكلم الياباتو باتقان وبيان منذ خمسة وعشرين عاما أحد غير العائلة الامبراطورية والاشراف ورجال دين شنتو . ولكن اللغة السائدة هي اللغة المشتركة . وقد أخذ اليابانيون من الصينيين كتابتهم كما قدمنا قبلا وصاروا مضطرين لمعرفة حروفها التي لا تنقص عن

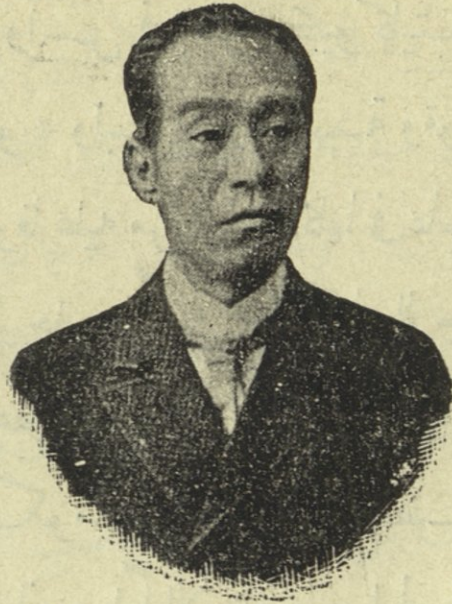
١٠٠٠٠ حرف . ولا يعد التلميذ ناجحا في المدارس الابتدائية
اذا لم يعرف منها ٣٠٠٠ على الاقل . وهم يستعيرون الآن
كافة الالفاظ الاصطلاحية في العلوم والاختراعات من اللغات
الاوروبية . ويعترفون بانه يستحيل عليهم أن ينبغوا في المعارف
الحديثة ويجاروا علماء الغرب وكبراء فلاسفته الا اذا أحاطوا
بلغات الغرب وتمكنوا منها

وقد استفاد اليابانيون من صعوبة لغتهم فائدة كبرى
فانها كانت الحاجز الحصين بينهم وبين المبعوثين المسيحيين
اذا خرتهم كثيرا في نشر دينهم بين طبقات الشعب . والمطالع
لما كتبه أولئك المبعوثون عن اللغة اليابانية وما لاقوه في
اليابان يجدهم جميعا يئنون ويشكون ويندبون سوء حظهم
قائلين « ان الشياطين تأمروا على وضع لغة اليابان ! »

*
* *

اذا افتخرت اليابان مرة بعناية حكومتها بأمر التربية
والتعليم وسهرها على تهذيب الناشئة وتثقيف عقولها وجب
عليها أن تفتخر ألف مرة برجالها الابطال وأبنائها المخلصين

الذين أسسوا المدارس الاهلية وأنفقوا عليها من أموالهم
وساعدوا الحكومة في مساعيها المحمودة وعلّموا أخوانهم
الأخذ بأسباب الرقي وتضحية كل نفيس في سبيل سعادة
الامة والبلاد. وقد رأي القاري من الاحصاء الذي قدمناه
ان الافراد أوجدوا للعلوم دورا عديدة وظهروا في هذا
الميدان بهم عالية جلية. ولا صراء في ان الكونت «أوكوما»
هو المتقدم في الفضل على الجميع. فقد كانت ولا تزال الكاية التي
أنشأها في «وازييدا» بضواحي طوكيو مثالا للنظام والكمال
في التربية والتعليم ونموذجا للكليات التي تخرج للاوطان
جيوشا من الرجال ذوى الرؤس العاصرة والقلوب الطاهرة
المتشربة بأسمى المبادئ وأرفع العواطف الوطنية. ولم يكتب
الكونت او كوما بذلك بل اتفق مع الكونت «ايدجيكاتا»
والبارون «شيدوزاوا» والمالى الشهير «سوميتومي» على تأسيس
كلية للبنات في طوكيو باسم «نيبون جوشي داى جاكو».
وقاموا بتنفيذ المشروع خير قيام حتى صارت هذه الكلية
الجديدة من أجل ينابيع الحياة واخير للعائلات والامة كايها



— * * * * * —
* * * * *
* * * * *

ومن أصحاب الهمم الشماء الذين لهم على التعليم والصحافة
الايادي البيضاء فقيد المعارف والآداب المسيو «فوكوزاوا»
الذي كان في الصف الأول من محاربي الجهالة والتأخر . فانه
زار أمريكا منذ أربعين عاما ووقف على دقائق العلوم
والفنون فيها واختبر أحوالها وسبر سياستها وعرف أسرار
تقدمها وجاء الى بلاده قوى العزم مشمرا ساعدا لجد لتربية
أمته ونشر أنوار الحضارة والتقدم بين شعبه . فأصدر لهذا الغرض

جريدة يومية وأسس في طوكيو كليتة الشهيرة باسم
« كيو جيد جيكو » ولبت يديرها بهمة وقوة إرادة وتبصر
حتى مات مأسوفا عليه من اليابان كلها في عام ١٩٠١
وهذا الرجل هو من آحاد كبار الرجال في اليابان ولو
أراد لكان من عظماء ساستها وأوائل وزرائها . ولكنه رفض
التوظف في الحكومة المرة بعد المرة وفضل خدمة وطنه
بقلمه وعلمه ولسانه معلماً الأبناء حب الحرية والاستقلال
والجهاد في سبيل الحياة . وقد كان اليابانيون قبل ثورة عام ١٨٦٨
يحتقرون التجارة فعلمهم « فوكوزاوا » احترامها وأبان لهم
بالبرهان المحسوس والدليل المتنع ان أمم أوروبا لم تفتح الممالك
والبلدان وتسود أفريقيا وآسيا الا خدمة للتجارة وسعي وراء
رواجها

وقد وصفه المؤلف الانكليزي الشهير « بازيل هال
شمبرلن » بقوله : « انه كاتب واضح العبارة جلي الانشاء
يدير جريدة عظيمة الانتشار لا تخفي عليه أبداً حاجات كل
وقت . فتراه بالأمس نصيراً للدين المسيحي لأن اعتناقه

يستميل الأمم الغربية لليابان . وميالا اليوم بكل جوارحه
للدين البوذي لان مبادئه موافقة لافكار التقدم العصري
والانقلاب الحديث . وتجده يميل للاجانب تارة وينقلب
عليهم تارة أخرى - ناظرا على الدوام لمصلحة بلاده - . وهو من
الباحثين الاذكياء . ولقد كان جديراً بأن يكون وزيراً للمعارف
ولكنه ابتعد دائماً من الوظائف ومناصب الشرف . وهو
يعتبر الآن الأب العقلي والنفساني لنصف الرجال الذين يقودون
أزمة الأمور في اليابان »

ولم يعتن بأمر التعليم والتربية ونشر المعارف في أرجاء
اليابان الاغنياء والكبراء دون غيرهم . بل أظهرت
العائلات كلها اهتماماً به كبيراً فتكفلت كل واحدة منها
بالانفاق على تلميذين أو ثلاثة حسب درجة ثروتها . وكلما
زاد مرتب رئيسها زاد عدد التلاميذ الذين يتعلمون على نفقتها
ويعيشون تحت كنفها . ولعل الأمة اليابانية هي الوحيدة في
العالم كله التي يجد الانسان فيها هذا التضامن وانعطاف الكبير
على الصغير والغني نحو الفقير الى ذلك الحد التي تنهي اليه

الوطنية الحقة

وقد نبغ اليابانيون بفضل عناية الحكومة والاهالي وبرع منهم الكثيرون في كل علم وفن . وظهر منهم أول مكتشف لميكروب الطاعون . وها هم يربون الآن الامة الصينية وينشرون بين أفرادها أنوار العرفان وتأتي الوفود منها الى اليابان لترجع عامرة الرؤوس والقلوب . وبالجملة انقلب الحال وصار اليابانيون يعلمون الصينيين بعد ان كانوا أساتذتهم في القرون الغابرة وحاملو لواء المدنية بينهم . ولو استفادوا من معارفهم الفوائد اللازمة لحدث في الشرق الاقصى أكبر تغيير وأعظم انقلاب

*
* *

لا يفتح الانسان كتابا على اليابان خطه قلم غربي حتى يجد المؤلف ساخطا على الروح العاملة في تربية اليابانيين . لان أساتذتهم يعلمونهم كراهة الاجانب وبغضهم واحتقارهم ويربونهم على العمل ضدكم بكل مافي الامكان واعتبارهم أعداء للامة شديدي الخطر عليها . وأشد المؤلفين سخطاً وتألماً لها

المسيو « هنرى دومولار » الذى كان مدرسا فى اليابان وله
عليها كتاب من أفيد الكتب التى اعتمدنا عليها والمسيو
« فيلكس مارتان » صاحب كتاب « اليابان الحقيقية ». فقد
خصصا لهذا الموضوع أبحاثا طويلة حملتا فيها على المعلمين اليابانيين
حملة شديدة. وجاراهما فى كتاباتهما هذه بقية المؤلفين الغربيين
وفى الواقع فقد ملأ المعلمون اليابانيون كتبهم بتمجيد
اليابان وتعظيمها وتفضيلها على بقية بلاد الارض . فجاء فى
كتاب « كاتوسوكى ايتسى » المنشر بين تلاميذ المدارس
الابتدائية ما ترجمته :

« ان نبيونا الكبيرة التى يحكمها امبراطورها العاقل
هى أسهى وأرقى من كافة بلاد العالم . فقطسها بديع ولا يعرف
أهلها الحرارة المؤلمة ولا البرودة القارسة

والاشجار والنواكه تنمو فيها بكثرة وافرة . والارز
والحنطة وبقية الحبوب جيدة فيها . وقد تحسن الشاى والتوت
فى بلادنا ولو أن أصلهما من الصين بفضل جفاف الارض
ولطف الطقس وقد قام الرسل والانبياء فى البلاد

الآخري لتعليم الفضيلة للناس ولكن الناس لبثوا قاسى القلب
يشبهون الحيوانات الكاسرة . أما اليابان فلم يأتها أحد من
الرسل والانباء وشعبها رقيق الاخلاق لان أرضنا وطقسنا
يسمحان لكل انسان أن يتحصل بقليل من العمل على الحبوب
الضرورية للحياة . ويوجدان في الرجال الدعة والطيبة »

وقد ظهرت آثار هذه التربية فأعلن اليابانيون صغاراً
وكباراً بغضهم الشديد للغربيين واحتقارهم لهم . واضطرت
الحكومة أن تنبههم المرة بعد المرة الى مافي هذا السلوك من
ضرر بالبلاد وتنذير للدول الميالة لها عنها ورأى الميكادو نفسه
من الواجب عليه ارشاد الشعب الى مصلحة الدولة فأصدر
منشوراً بمناسبة محو الامتيازات الاجنبية وابطال المحاكم
القنصلية دعافيه الاهاالى الى عدم الاعتداء على الاجانب واهانتهم
واظهار البغضاء لهم . ووقف المريكيز « سيونجى » وزير المعارف
في عام ١٨٩٥ خطيباً على مديري المدارس الابتدائية فقال لهم :
« ان الذين يتمسكون بالفكر اليابانى العتيق هم الأعداء
الامة وقوم يابون الجرى مع التقدم فى تياره ويقبلون بثقة

زائدة الاوهام القومية ويهملون ارشاد الشعب الى الحقيقة
بشأن البلاد الاجنبية»

والتى المريكز يتوفى يونيه عام ١٨٩٧ خطبة على هذا
الموضوع قال فيها:

« مما لا ريب فيه ان المعلمين يربون التلاميذ في كافة
مدارس اليابان على كراهة الاجانب وكلما تقدمنا الى الامام
تقدمت هذه العواطف ونمت . فافرضوا ان الاشرار منكم
اعتدوا على الاجانب بدعوى انهم ينالون من المكاسب ما أبناء
البلاد أحق به وانهم يهجمون على حوائثهم ومعاملهم فماذا
يحصل بعد ذلك ؟ ان المسئلة تصير دولية وتقف البلاد عندئذ في
مركز حرج للغاية

ولذلك فاني أطلب اصلاحا تاما للتعليم في بلادنا وأحتج
ضد تربية شببيتنا على وطنية ضيقة الدائرة غير حميدة . ولا بد
من اقتلاع جذور العداوة النامية ضد الاجانب لان الاموال
الاجنبية ضرورية لنا . ولا يمكننا الحصول عليها الا اذا أمن
أصحابها على أنفسهم وعليها »

وقال الكونت أو كوما مثل ذلك مرارا وتكرارا .
ولكن هذه الأقوال لم تأت بأقل ثمرة . لان الشعب الياباني
لا ينسى فتح الاجانب للشغور اليابانية بالقوة والقهر ولا تمحو
الايام والاعوام من ذاكرته احتقارهم له ونظرهم اليه بازدراء .
وهو لم يخطب المدينة الاوروبية حبا فيها أو غراما بها . بل
رغبة منه في ادراك شأو الاجانب ونيل قوتهم في البر والبحر
لمقاومتهم والتغلب عليهم وتخليص الشرق الاقصى من نفوذهم .
فلذلك يرى أصحاب النظر الصائب ان كل الجهود التي
تبذل لاقتلاع جذور شجرة العداة والبغضاء للاجانب النامية
بين اليابانيين هي كذرات الغبار المنتشرة في الهواء لا تلبث أن
تذروها الرياح . وان الياباني لا يستطيع أن يفهم للوطنية معني
اذا لم تكن روحها كراهة الاجنبي والسعي لطرده من بلاده
ومحو كل نفوذ له من أعمالها العامة والخاصة

على ان الحكومة نفسها لم تبالي في الحفاوة بالاجانب .
فقد غيرت المدرسين منهم يابانيين في أيسر زمن ولا تزال
تأبى عليهم امتلاك شبر أرض في البلاد

الصحافة

لم يكن للصحافة وجود حقيقي في اليابان قبل ثورة سنة ١٨٦٨ . فقد نشر بعض باعة الكتب بطوكيو في عام ١٨٦٣ نشرة باسم « أخبار باتافيا » مشتملة على ترجمة الجرائد الهولندية لم تعش الا مدة قصيرة ثم قام في عام ١٨٦٤ المسيو « جوزيف هيكو » بانشاء جريدة « كايجن شيمبون » أي « أخبار الخارج » واستمر يحرر فيها مدة سنتين لقي فيها كل أنواع المصاعب ولم يثبت معه من مشتركيها الا اثنان . وفي سنة ١٨٦٧ أصدر المسيو « جنتشوروفو كيتشي » جريدة « كوكو شيمبون » أو « الاخبار الاجتماعية » . واقتدى به الكثيرون ولكنهم وجدوا جميع المتاعب الجملة لان الاهالي كانوا غير مقدرين للصحافة حق قدرها وكان أصحاب الاموال يابون مساعدتها أو اصدار أسهم بالصحف المهمة . وفضلا عن ذلك فقد كانت المطابع خشبية من الطراز القديم

وأول جريدة استخدمت المطابع الأوروبية وظهرت
في الزى الجديد هي جريدة « طوكيو يوكوهاما مينيتشي
شمبون » التي صدرت في عام ١٨٧١ . ثم نشرت بعدها
جرائد أخرى سياسية أخذت من الشهرة والاهمية النصيب
الوافر

وكانت الجرائد لغاية عام ١٨٧٤ تظهر في الظهر وتوزع
في المساء . ولم يكن الموزعون كبيرى الاهتمام بإيصال الصحف
في أوقاتها . وقد أنشأت مجلة « تاو » اليابانية مقالة على
الصحافة في بلادها روت فيها حكاية لطيفة نقلها المسيو
« دومولار » في كتابه . وهى ان احدى الصحف لم تجد في
عام ١٨٧٤ من الموزعين العدد الكافى لكثرة انتشارها
فدعت محرريها للتوزيع . وارتيدي رئيسهم بملابس « الساموراي »
واضعاً سيفاً على يمينه وآخر على يساره وطاف المنازل والدور
حتى وزع وحده ٢٠٠ نسخة على المشتركين وفعل بقية المحررين
مثله . وان صحافياً آخر لم يستطع اتمام مقاله الافتتاحية فألقى
بها من نافذة قاعته ووضع في صدر الجريدة اعلاناً قال فيه :

« لقد كان الهواء بالامس شديداً الى حد انه طوح بمقالة
رئيس تحرير جريدتنا في الشارع وفرق أوراقه في كل
جهة . وقد رأينا اصدار الجريدة على حالها اليوم منعاً من التأخير
ورجاؤنا ممن يجد المقالة من القراء أن يردّها إلينا ! »

واستمرت الصحافة ترقى ببطء حتى قامت الحرب بين
اليابان والصين وأحدثت انتصارات جنود الميكادو انقلاباً
كبيراً في كل فروع الحياة ودبت في الامة روح جديدة وتمت
ثقتها بنفسها وزادت محبتها لبلادها وتمسكها برايتها ومجدها
وعظمتها ولم يعد لليأس سلطان على واحد من أفرادها. فانتقلت
الصحافة من حال الى حال وصار في جرائد طوكيو ما يطبع منها
١٠٠٠٠٠ نسخة في اليوم بعد ان كان عددها تطبعه أهم جريدة
١٠٠٠٠ ليس الا

ويبلغ عدد الجرائد والنشرات الدورية في اليابان ١٥٠٠
منها ٤٠٠ جريدة . وعدد ما ينشر يومياً من الاعداد بين
٦٠٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠٠٠ وفي طوكيو وحدها ٢٠ صحيفة يومية
أهمها « دجيجي شيمبو » أو « الزمن » و « طوكيو نشي نشي

شمبون « أو « أخبار طوكيو اليومية » و « مينتشي شمبون »
أو « أخبار اليوم » و « كوكومين شمبون » أو « الامة »
و « نيون » أو اليابان . وبين صحف طوكيو جريدة انكايزية
وهي « يابان تيمس » التي يحررها يابانيون رأوا من فائدة بلادهم
اعلان آرائهم وأفكارهم للاجانب . ومما تمتاز به ادارات الجرائد
اليابانية عن غيرها أنك اذا دخلت الى احدى مطابعها سمعت
غناء قويا ودويا شديداً . وذلك لان الصنفاين يغنون بذكر
الحروف عند جمعها

وقد أصيبت الصحافة في اليابان بأفها في كل بلاد العالم
فترى بجانب الصحف الكبرى النافعة الراقية المهدبة أخرى
لا وظيفة لها الا الفضائح والطعن والشخصيات . وتجد فيها
التنصيص الغريبة عن سيرة زيد من الناس أو عمرو وأعماله
وأسراره وتصرفاته والنساء اللواتي يقضى معهن أوقات سروره
وانشراحه . وغير ذلك من الامور التي ليست من وظيفة
الجرائد في شيء . ومن العجيب ان بعض هذه الصحف اكثر
انتشاراً من الصحف الكبرى الملازمة لخطة الأدب والكمال .

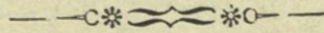
وما ذلك الا لميل النفوس لمعرفة أخبار الافراد وسير الاشخاص
وتطلعها على الدوام لما وراء الستار
وثنم الجرائد في اليابان قليل جداً . فهو يختلف من
خرشين الى خمسة في الشهر الواحد أى لا يتجاوز ثمن الجريدة
الواحدة مئلياً ونصف المليم . وكذلك أجرة الاعلانات فيها
واهية . ولكن الجرائد اليابانية كثيرة الاعلانات . وقد
تفوق الصحف الانكليزية والامريكية نفسها في وفرتها
أما المجلات فهى اكبر عدد من الجرائد اليومية والاسبوعية .
لان اليابان مماكة الجمعيات . ولكل جمعية منها مجلة خاصة بها . وقد
كانت أجل نتائج الحرية انشاء الجمعيات العديدة . فترى في
كافة المدائن اليابانية النوادي المختلفة لها والمجلات المنشأة
بأموالها وأقلام أعضائها . ولم يترك اليابانيون باباً من أبواب
الاجتماع والائتلاف حتى طر قوه . فتجد جمعياتهم قد اختصت
بكل شىء وشملت كل أمر فكما أن للصليب الاحمر جمعية
تحت رعاية الامبراطورة يبلغ عدد أعضائها ٤٠٠٠٠٠ شخص
تبصر جمعية أخرى باسم « جمعية المسافرين من طوكيو الى

يوكوهاما « أو « جمعية حاملي الشوارب ! » وهكذا
وليس الصحفيون في اليابان بأسعد حظاً من اخوانهم
في مصر وبقية بلاد الشرق . فهم يجهدون أنفسهم كثيراً
ويتعبون تعباً جسيماً ولا يربحون الا مالا قليلاً . فكان الواحد
منهم منذ عشر سنوات يعد نفسه الفائز اذا كسب عشرة
جنيهاً في الشهر وكانوا يسمون المسيو « تاكاهاشي » أمير
الصحافة لانه كان ينقد ١٥ جنيهاً . وقد تحسنت الحالة نوعاً
بعد حرب الصين فوجد من يدفع له في الشهر ٥٠ جنيهاً مثل
المسيو « كاي هارا » وكيل نظارة الخارجية سابقاً والمحرر الاول
لجريدة « أوزا كامينتشي » . ولكن متوسط مرتب المحرر
العادي في الصحف اليابانية لا يتعدى ستة جنيهاً . فليتل
أخواننا المحررون المصريون بحال رصنائهم اليابانيين !
وقد كان القانون شديداً جداً على الصحفيين . ولم
يلطف الا في عام ١٨٨٧ . فكان الواحد منهم يزج في السجن
قبل ذلك لاقبل اعتراض على الحكومة أو لمناقشتها الحساب
على أي عمل من أعمالها . ومن أظرف ما وقع في ذلك العهد ان

المحاكم حكمت على المسيو « كوروكاتو » مدير جريدة « سايفو شيمبون » بالحبس لمدة ثلاث سنوات وعطلت جريدته بسبب ذلك . فاجتمع رصفاؤه جميعا وقرروا الاحتجاج على ذلك الحكم القاسى بصنة مؤثرة وأعدوا فعلا « جنازة » علنية للجريدة المعطلة دعوا الامة اليها وسار على رأسها رجال الدين البوذى التابعون لمعبد « دمبو » فى مدينة « أزاكسا » . فازدحمت الجماهير لرؤية هذه الجنازة الفريدة فى بابها وتوديع ذلك « الميت » العزيز وسار خبرها فى اليابان كلها . وكان من الاسباب القوية التى حملت الحكومة على منح الصحافة حريتها الكاملة

ومما لا ريب فيه ان الصحافة أفادت اليابان بما لا يقدر . وكانت عاملا من اكبر عوامل تقدمها . وهى المحرضة على الحرب الحالية والدائمة اليها . والمشجعة للامة على مد يد المعونة للحكومة بالمال والرجال . واذا تم لليابان فى هذه الحرب ما تريد جنت الصحافة ثمار مجهوداتها وخطت الخطوة النهائية فى سبيل الانتشار

وعلى كل حال فانها لم تصل الى مقامها الحالى الا بفضل
انتشار التعليم واستقلال البلاد . ولولاهما لكانت مثل صحافة
مصر التي نشأت معها في وقت واحد . فلينظر الكتاب
المصريون الى هذه الحقيقة بتأمل واعتبار وليخدموا العلم
والاستقلال إن كانوا يبتغون اعلاء شأن مهنتهم وترقية
صحفهم !



الحرب الصينية البحرية

رأي القارئ مما أوردناه في الكلام على المالية ان دولة
« الشمس المشرقة » أنفقت الأموال الطائلة في سبيل تقوية
الحرية والبحرية وتحملت الديون والاثقال وضربت الضرائب
لجعل عدد جيشها ٥٢٠٠٠٠ مقاتل غير جنود الحرس
الامبراطوري ورجال الشرطة بعد ان كان لا يتجاوز ٢٨٠٠٠٠
أيام الحرب مع الصين. وایصال عدد بوارجها الحربية الى ٦٧
بارجة (منها ٧ مدرعات كبرى) حمولتها ٢٥٨٠٠٠ طن (عدا
١١ ضد الطوريل و ١١٥ طوريبلا) بعد ان كان لديها في
مدة الحرب الصينية ٢٣ بارجة حمولتها ٧٨٠٠٠ طن ليس الا
و ٢٦ طوريبلا

وقد تم لها ما أرادت في الجيش فبلغ في العام الماضي
الحد المرغوب ولم يبق على اتمام مقاصدها في البحرية وتنفيذ
خطتها الا الشيء القليل . وقد تداركت ما احتاجت اليه أثناء

الحرب . وفضلت اعلانها في هذا العام والاسراع بها قبل أن يستعد الروس تمام الاستعداد وخيراً فقلت . خصوصاً وان بحريتها على كل حال أقوى من بحرية خصمها

والجيش الياباني بأسره تحت قيادة الميكادو . والمساعدون له هم وزير الحربية وأركان الحرب والمدير العام لتعليم الحركات العسكرية وتمارين الجنود . والجيش مقسم الى ثلاثة أقسام : الجيش العامل بما فيه الجنود الاحتياطية وهو المعد للخدمة في الخارج أى لمحاربة أعداء البلاد . وجيش المقاطعات وهو لحماية البلاد واحتلال جزيرة فورموزة . وجيش الرديف وهو معد لحماية البلاد وامتداد الجيش العامل عند الحاجة

والجيش العامل مؤلف من البيادة (المشاة) والسوارى وطوبجية الميدان وطوبجية الحصون والمهندسين وجنود النقل . والبيادة مؤلفة من ٥٢ آلايا في كل واحد منها ثلاث أورط . ومجموع ضباطها ٤١٦٠ و جنودها ١٤٣٠٠٠ . والسوارى مؤلفة من ١٧ آلايا في كل واحد منها ثلاثة بلوكات . ومجموع ضباطها ٤٠٠ و جنودها ٩٠٠٠ . وعدد خيولها ٩٠٠٠ .

وطوبجية الميدان مؤلفة من ١٩ آلايا في كل منها ٦ بطريات .
وعدد مدافعها ٦٨٤ مدفعاً ومجموع ضباطها ٨٠٠ وجنودها
١٢٥٠٠ . وعدد خيولها ٨٨٠٠ حصان . وطوبجية الحصون
مؤلفة من ٢٠ أورطة عدد ضباطها ٥٣٠ وجنودها ١٠٣٠٠ .
وفرق المهندسين تكون ١٤ أورطة عدد ضباطها ٢٩٠
وجنودها ٧٥٥٠

والجنود الاحتياطية مؤلفة من ١٠٠٠ ضابط و ٣٤٦٠٠٠
جندي وتبلغ مدافعها ١١٤ وخيولها ٩٠٠٠ . وإذا أضيفت
إليها والى الجيش العامل جنود المقاطعات وقوى الرديف بلغ
جيش اليابان ٥٠٩٩٦٠ جندياً . وذلك غير فرقة الحرس التي
بانضمامها إليه يبلغ ٥٢٠٠٠٠ جندي الذي أشرنا إليه .
والجيش الدائم مؤلف من ١٢ فرقة غير تلك الفرقة الممتازة
التي أظهرت غاية البسالة في واقعة نهر يالو

وهذه الجنود كلها مدربة أحسن تدريب ومعلموها في
غاية الكفاءة والبسالة . وأسلحتها ومدافعها من أحدث وأجود
طراز وكلها مصنوعة في اليابان . وأهم الترسانات في طوكيو

وأوزاكا . وترسانة طوكيو وحدها تصنع في كل يوم ٣٠٠
بندقية و ١٠٠٠٠ خرطوشة . واستقلت ترسانة أوزاكا بصناعة
المدافع وقنابلها وسائر الذخائر والمهمات . ومدافع الحصار
هي من أدق طراز لمدافع كروب . وفي اليابان معملان لصنع
البارود الذي بلا دخان . أما مدارسها الحربية فتعد مثلا
للنظام والالتقان في التعليم وتربية القواد والا كفاء والضباط
الماهرين . وقد خرجت بالفعل رجالا فاقوا الاوروبيين في
اختراع البارود والمواد المدمرة مما لا يزال سرا مكنونا
لا يعرفه الا هم

وقد بلغت البحرية اليابانية كذلك أقصى درجات الكمال
وصارت الآن في الصف الاول من بحريات الدول المتمدنة .
وهي مؤانة من سبع مدرعات كبيرة وهي « أساهي وفوجي
وهاتسوسا وميكاسا وشيكيشيما » (وهي أكبر مدرعة في
اليابان ومن المدرعات النادرة المثال في العالم كله) و « يوشياموسن
يو » . وأربع مدرعات صغيرة وهي « سن يون وفوسو وهي ين
وشيودا » . ومن خمس طرادات من الدرجة الاولى وهي

« أساما وأزوما وادزوما واياتي ويا كوما » . وقد اشترت
طرادين آخرين من الارجنتين وهما «كاسوجا ونيشين» . ولكن
أفواه الماء طمعت في هذا الاخير كما طمعت في المدرعة «يوشيا» .
ومن اثني عشر طرادا من الدرجة الثانية وهي « ا كيتسوشيا
وشينوزا وهاسيداتا واتسوكوشيا وكازاكي وما نشوشيا
ونانيوي ونياي تاكا وتا كاشيهو وتا كاشاجو وتسوشيا
ويوشينو » . وست طرادات من الدرجة الثالثة وهي « أكاش
وشي هايا وايزومي وأوتاوا وساي بن . وسونا » ومن ٣
مدفيعات و ٢٦ نسافة توربيدية وجملة قوارب توربيدية

*
* *

لم يجمع رجال العسكرية والنقاد الحربيون على أمر بل لم
يتفق الناس جميعاً على حقيقة كاجماعهم واتفاقهم على ان الجندي
الياباني لا يعرف للحياة قيمة ولا للموت رهبة . وانه اكثر
الجنود قناعة واشدهم بسالة وأعظمهم إقداما . يستقبل رصاص
الاعداء ضاحكا منشرحاً كأنه يقابل صديقاً حميماً أو يستلم هدية
فاخرة وما ذلك الا لانه مع ما هو منطور عليه من الشهامة

يجب بلاده جباً فائقاً ويسير الى القتال عالماً انه يخدمها ويعمل
لعظمتها واتساع نفوذها . وهو أمر لا يتحقق لكافة الجيوش .
وبديهي ان الوطنية اذا اجتمعت بالشجاعة فعلت مالا تقدر
عليه قوى الارض كلها

والجندي الياباني قنوع للغاية . فهو لا يطلب من الزاد
اكثر من كمية قليلة من الارز المطبوخ بالماء . وهذه القناعة
تفيد الجيش الياباني فائدة جزيلة . لان مسألة نقل المؤونة
وغذاء الجنود من اكبر معضلات الحروب

وقل أن يوجد في الدنيا جندي تعود على المشى الطويل
مثل الياباني . فهو يسير على قدميه الأميال العديدة . وقد
يقطع ٣٠ كيلو متراً وحمله على ظهره بلا تعب ولا ملل . وهذا
ليس بعجيب لان الفلاحين اليابانيين يجرون العربات المحملة
بالاشياء المختلفة مدة ١٢ ساعة يقطعون فيها ١٠٠ كيلومتر !
ويمتاز الجندي الياباني أيضاً بالمهارة في الرمي والطاعة
والامتثال والرحمة بالضعفاء والبر بالمرضى ورقة القلب والحنان
على الجرحى والعناية بهم . وقد رفعت هذه المزايا السامية شأن

الجيش الياباني وحملت أعداء اليابان أنفسهم على الاعتراف بها .
وقد أظهر جيش الميكادو كفاءته واستعداده ونظامه
لاول مرة في حربه مع الصين . ولما أعلنت في أول أغسطس
عام ١٨٩٤ ظن الكثيرون من الاوروبيين ان الدائرة ستدور
على اليابان وان حكومة « متسو هيتو » طوحت بنفسها في
تيار شديد الاخطار . لان الصين كانت مستعدة استعداداً
تاماً ولم يكن يظن أحد انها بهذا الضعف المفرع . لا سيما
وقد اهتم « لي هنغ شانغ » من أوائل عام ١٨٦٠ - أي قبل
اليابان - بتقوية حصونها وقلعها وشراء البوارج الكبرى لجعل
أسطولها قادراً على حماية الثغور واستخدام الضباط الاجانب
لتنظيم جيشها وتدريب جنودها على الاسلحة الحديثة . ولم
تنهض حكومة ابن السماء هذه النهضة الا لكونها رأت فرنسا
وانكارترا قد قهرتها في عام ١٨٦٠ وتغلب ١٨٠٠٠ جندي من
عساكرهما على ٦٠٠٠٠ صيني في « بالي كياو » واستولوا على
بكين وأحرقوا قصر الصيف وملاؤا البلاد رعباً حتى اضطر
الامبراطور « هان فونج » لأن يولي الادبار

ولما أعلنت الحرب بين الصين واليابان كان جيش الدولة
الاولى مؤلفاً من ٣٥٠٠٠ جندي في بتشيلي و ١٣٠٠٠٠ جندي
في بور آرثر و ١٢٠٠٠٠ في واى هاي واي و ٧٨٠٠٠٠ جندي
في منشوريا منهم ١٥٠٠٠٠ من التتار تحت قيادة الجنرال «لى»
و ٦٣٠٠٠٠ صيني تحت إمرة الجنرال « سنج » . ولم يكن لدى
اليابانيين الاجيشان أحدهما تحت قيادة المارشال « يماجاتا »
(وقد خلفه الجنرال « نوتزو » في ٥ ديسمبر عام ١٨٩٤
بسبب مرضه) وكان مؤلفاً من ٤٢٠٠٠٠ جندي و ٨٤ مدفعاً
ومكلفاً باحتلال كوريا وشن الغارة على منشوريا . والثاني تحت
قيادة المارشال « أوياما » وكان مؤلفاً من ٢٢٠٠٠٠ جندي
و ٤٨ مدفعاً . وقد عهد اليه الاستيلاء على بور آرثر وأضيف
اليه بعد ذلك ٣٠٠٠٠ جندي لمهاجمة واى هاي واي . اى ان
مجموع القوى البرية الصينية كان ١٣٨٠٠٠٠ جندي واليابانية
٧٧٠٠٠٠ ليس الا

وكان الاسطول الصيني مؤلفاً من ٢٤ بارجة منها
مدرعتان من الدرجة الاولى ومن ١٥ نسافا . وكان الياباني

مولفاً من ٢٣ بارجة و ٢٦ نسافا ولم يكن فيه مدرسة واحدة .
ورغمًا عن ذلك كاه فان الصينيين هزموا في كل واقعة
شر هزيمة وافتتح اليابانيون الحرب باحتلال سيول عاصمة
كوريا والاستيلاء على « أسان » « وفيونج ينج » التي خسر
فيها الصينيون الخسائر الهائلة . وفي ١٧ سبتمبر أي بعد اعلان
الحرب بستة أسابيع انتصر الاميرال « إيتو » على الاسطول
الصيني الذي كان يقوده الاميرال « تنج » انتصاراً باهراً في
نهر يالو أغرقت فيه ثلاث بوارج صينية وتدمرت اثنتان
وأحرقت ثلاث أخرى وفرت الاربع الباقية وجرح أكثر
من ١٠٠٠٠ رجل . ولم يخسر « إيتو » في هذه الواقعة بارجة
واحدة ولم يجرح من رجاله الا ١٣٠ شخصاً ! وسهل هذا
النصر للجيش الياباني عبور النهر ومقاتلة الصينيين في « كيولين
شنج » وقهرهم وأخذ ٧٨ مدفعاً منهم وأربعة آلاف بندقية
وأربعة آلاف خرطوشة . وفي ٢١ نوفمبر أخذ اليابانيون
بور آرثر عنوة مع مناعتها واستعداد الصينيين لحمايتها ووقعت
قبل ذلك « كنشو وتالين وان » في أيدي أولئك الجنود

البواسل الذين زادوا دولتهم اشراقا على اشراقها ونورا فوق
نورها

ولم يسترح اليابانيون الا قليلا حتي سيروا جيشهم
المرمر على منشوريا وأظهر جنودهم في هذه التجربة
منتهى الصبر والجلد والشجاعة وتحمل الآلام والاعوجاج
لاشتداد البرد وكثرة الامراض . ثم هم الجنرال « نوتزو »
بأخذ « واي هاي واي » فاستولى عليها بعد قتال عنيف ووضع
الاسطول الياباني يده على بقية البوارج الصينية وقتل الأدميرال
« تنج » نفسه حزنا على مصاب وطنه . ولم تر الصين بعد ذلك بدا
من طلب الصلح لأن اليابانيين كانوا على أبواب عاصمتها
فعمدت الهدنة في « سيمونداكي » يوم ٣٠ مارس عام ١٨٩٥
وانتهى الأمر بفوز الدولة الشابة المجددة على الدولة العجوز
وقد بهرت هذه الانتصارات العالم الأوروبي والأمريكي
ولكنه لم يعترف بقوة اليابان ويشهد لجيشها بالنظام والاستعداد
والمزايا العالية الا في عام ١٩٠٠ عند ما سار مع الجنود الأوروية

لانقاذ السفارات الاجنبية في بكين . فقد دخل العاصمة
الصينية كتفا لكتف مع الجنود الروسية قبل كافة جيوش
الدول الاخرى وأبدى من الشجاعة والاقدام ما أدهش
الضباط الأجنب جميعاً . وابتعد عن النهب والسلب وارتكاب
الفظائع فزاد اعتبارا واضطرت أوروبا للنظر اليه بعين
الاحترام والاعظام

وهاهو اليوم يأتي في حربه مع روسيا من آيات البسالة
الفائقة والشجاعة النادرة ما يخاله الأنسان تصصا لولا انه
حقائق تؤيدها أخبار الاعداء أنفسهم . وأي شجاعة رأها بنو
الانسان كإني أظهرها اليابانيون في واقعة نهر يالوو سدمدخل
بور آرثر وكنشوونان شان؟

لابدع اذا كان تاريخ الحرب الحاضرة يعد يوم ظهوره
أغرب تاريخ للحروب القديمة والحديثة ومجموعة حوادث
تفصل للناس التناني في خدمة الوطن واحتقار الموت وتعلمهم
ضروب الشهامة الحقيقية وكيف يطلب الفرد العطب حبا في
رفعة بني جنسه وسيادة قومه ووطنه

*
* *

لو أردنا أن نوفي قواد اليابان حقهم من المدح والثناء
والوصف والاطراء لاحتجنا لمؤلف خاص بهم لأنهم على
حدائثة عهد دولتهم بالجيوش النظامية قاموا بأجل الاعمال
وجاروا أكبر قواد أوروبا وكتبوا بيمينهم أشرف صحيفة في
تاريخ الجندية . ولا ريب ان المارشال « يماجاتا » هو
أستاذهم الأكبر ومر بيهم ومعلمهم وصاحب الفضل العظيم
في بلوغ الجيش الياباني هذه الدرجة الرفيعة . وقد لبث طول
حياته من أقرب المقربين الى الميكادو ومن نصاحه المخلصين
وتولى الزعامة على حزب المحافظين . وأبان في حرب الصين
من المهارة في وضع الخطط العسكرية والتدبير في تسيير
الجنود ومفاجأة الاعداء ما جعل أبناء وطنه يلقبونه « بدي ملك »
اليابان كما سموا « ايتو » بسماركها

وهو الذي أرسل الضباط اليابانيين وأركان حرب الجيش
الى الصين لمعرفة قوتها وحصونها واستحكاماتها ونقل خراطها
وتدبيراتها . فتزيوا بالازياء المختلفة واشتغلوا بالحرف السافلة

والعالية وأرخي البعض منهم شعره خلف ظهره ليظنه الصينيون
منهم حتى أحاطوا بالأسرار الحربية للصين واستطاعت اليابان
التغلب عليها . وقد أتت مثل ذلك في السنوات الماضية
ووقفت على حركات الروس واستعداداتهم وهم غافلون
ومن تلاميذ المارشال « يماجاتا » القواد « نوتزو
وأوشيا وتاتسومي » (الذين يلقبه اليابانيون بنايليون الشرق)
وكوروكي وأوكو وهاسجاوا وإينوي . وبالجملة كل كبار
ضباط اليابان

والجنرال كوروكي يبلغ الآن من العمر ٦١ عاما وهو
من سلالة الساموزاي . وقد اشترك في ثورة عام ١٨٦٨ وخدم
الميكادو أجل خدمة . ونال رتبة جنرال في عام ١٨٨٥ واشترك
في هجوم الجيش الياباني على « واي هاي واي » في حرب
الصين . وها هو اليوم يقود جنود دولته في حربها مع الروسيا
ويتبع خطة « يماجاتا » ويستخدم دروسه وتعاليمه
وقد تخرج في البحرية أيضا ضباط عظام تقرن أسماءهم
بأكبر أسماء رجال البحر في أوروبا . وأستاذهم الأول هو بلا



— * الجزال « كوروي » * —

نزاع الاميرال « إيتو » قائد الاسطول اليابانى فى حرب
الصين - وهو من عائلة المريكيز إيتو - فانه كان أول ناقل لخطط
البحرية الانكازية والمدرّب لضباط أسطوله على سرعة
المناورات والحدق والمهارة فى الحركات . وقد تلقى عليه
الاميرال « توجو » الدروس النافعة فنبغ من بعده وحل محله
وصار الآن موضع آمال أمته ودولته . وهو كذلك من سلالة
الساموراى . وولد فى ١٤ اكتوبر عام ١٨٥٧ أى انه لم يتم
السابعة والاربعين من عمره وهو سن لا يحلم فيه أمهر الضباط
البحريين فى أوروبا بقيادة أسطول . ولكن اليابانيين يدخلون
فى دور الرجولية وهم شبان ويأتون فى الاربعين مالا يأتيه
غيرهم فى الستين . وقد تربى الاميرال توجو فى انكاترا
وتعلم فى الباخرة « ورسستر » وحضر أهم المناورات البحرية .
وكان قومنداننا للطراد « نانيوا » فى الحرب الصينية . وأطلق أول
مدفع فيها حيث كان الاسطول الصينى ينقل الجنود الى كوريا
وكانت الباخرة « كوشنج » تقل ١٦٠٠ جندى صينى وفوقها
العلم الانكازى فدعا ضباطها لتركها وصوب مدافعه نحوها حتى

أغرقتها هي ومن فيها . ومن عجائب الصدف ان اليوزباشى
« جالسوورسى » قومندانها كان زميله فى المدرسة وتربى معه
على ظهر الباخرة « ورسستر »

واشترك الاميرال توجو كذلك فى واقعة نهر يالو التى
قضى فيها على الاسطول الصينى وفى واقعة « واى هاي واى »
وكان أكبر معين للأميرال إيتو على تنظيم البحرية وتقويتها .
وهو الذى أشرف على بناء البوارج الجديدة . وله خبرة تامة
بكل شواطئ الصين وكوريا . وقد خدمه الجواسيس اليابانيون
كثيراً فى الحرب الحالية . والتقى « صدفة » - وما أغرب
هذه الصدفة ! - يوم ٨ فبراير الماضى أى يوم اعلان الحرب
على الروسيا مع ضابط من كبار الضباط اليابانيين كان على
ظهر باخرة انكازية قادمة من « دالني » وعرف منه مواقع
البواخر الروسية فى بور آرثر واستطاع بذلك أن يهاجمها
فى هذا الثغر وهى ساكنة هادئة آمنة !

وان ما أتاه الاميرال توجو فى الحرب الحاضرة من
صنوف المقدرة والكفاءة والمعرفة مما يشرف البحرية



— ☆ امیرال « توجو » ☆ —

اليابانية السنين والقرون ويخلد لها الذكر العاطر . ويحمل
انكاثرا والولايات المتحدة على الافتخار باليابان حليفة الاولى
وصديقة الثانية بعد أن سخرتا من دول الارض كافة وتعالتا
عليهن جميعاً !

*
* *

يجد المطالع لهذا الكتاب ان اليابان لم تقصر في تضحية
الاموال والرجال لتحقيق آمالها الوطنية ومطالبها الحققة . وانها
لا ترجع من الحرب الحاضرة الا اذا أخذت ما تريد واستردت
ما سلب منها غدر او ظلماً . ولذلك قال العارفون بنوايا المتحاربين
ان الحرب تستمر عامين أو أكثر . وغني عن البيان ان اليابان
بمركزها الطبيعي هي أحق الدول بالسيادة في الشرق الاقصى
لان الامم المجاورة لها مرتبطة بها بروابط مختلفة . فضلا عن
ان أقوى دول أوروبا لا تستطيع ايجاد أسطول وجيش
يعادلان أسطولها وجيشها في مياه الصين وكوريا . لانه يلزمها
لذلك حرمان ثغورها ومستعمراتها من القوى الحامية لها .
واقتراب اليابان من كوريا ومنشوريا يسهل لها ما تريد . فهي

تبعد عن شواطئ كوريا بما لا يزيد عن ٢٠٠ كيلومتر وعن
« يانج تسي كيانج » بنحو ٨٠٠ كيلومتر وعن بتشيلي بألف
كيلومتر وعن نهر « باي هو » الذي هو نهر بكين بنحو ١٣٠٠
كيلومتر

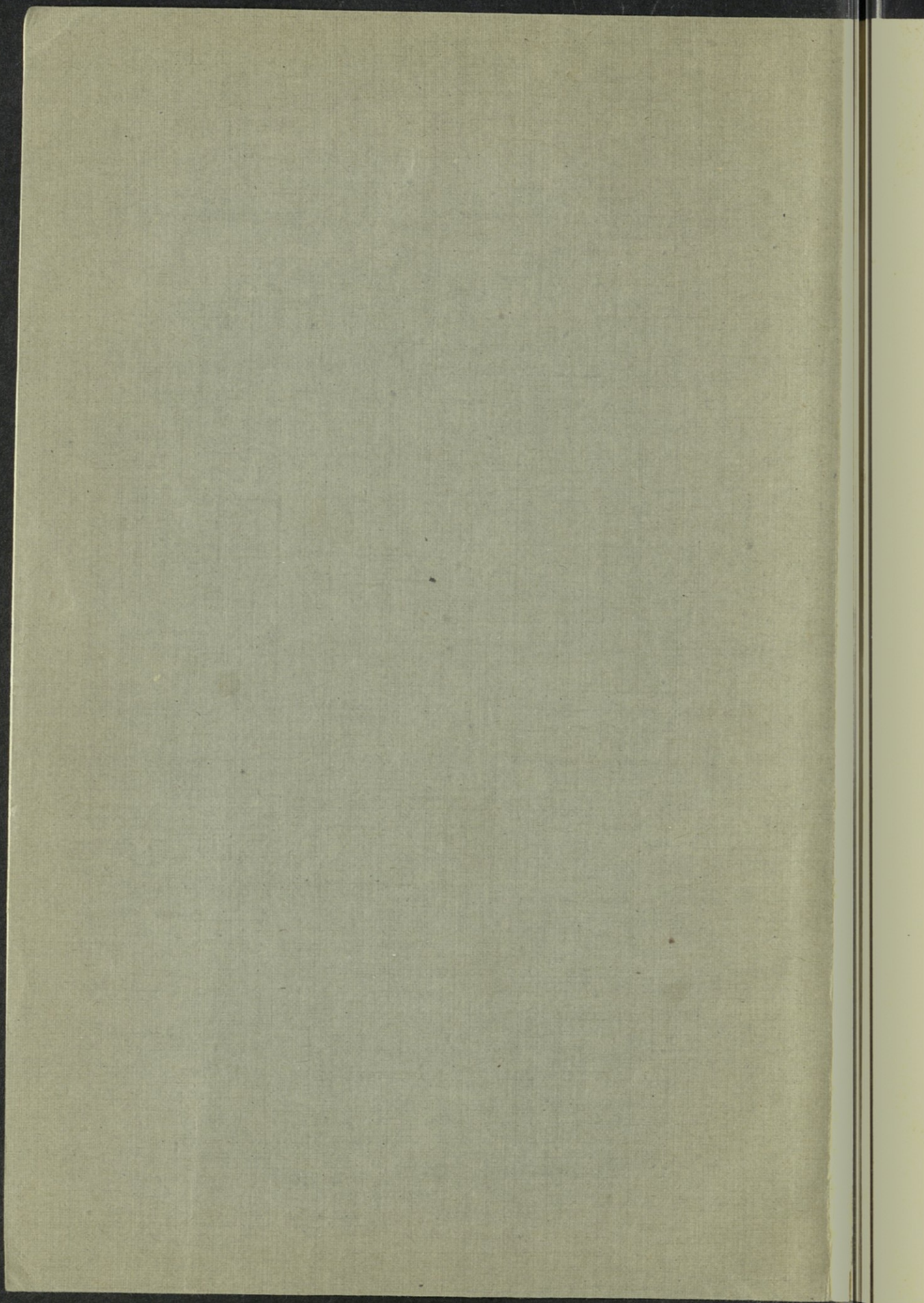
وانه لا يسع القاريء بعد الوقوف على عظمة هذه الامة
اليابانية وقوتها الا ان يقول إن أمة متحدة الكلمة مجتمعة الامر
ملتفة حول عرش امبراطورها متفقة الشعور نحو وطنها متضامنة
متآلفة لنصرة رايها « الشمسية » مالكة لارادتها لا تخيب أبدافي
مطالبها ولا تظلم ولا تضطهد ولو اجتمعت دول الارض عليها
وأحاطت بها من كل جانب !

فهرست الجزء الاول

صحيفة	صحيفة
١١٥ اينوي	٣ الفاتحة
١١٩ أوکوبو	٨ المقدمة
١٢٣ الدستور	٢٣ جزر اليابان
١٣٧ مجلس النواب	٣٠ شئ من التاريخ
والاحزاب	٥٤ الانقلاب الحديث
١٥٠ الادارة والقضاء	٦٧ الميكادو
١٦١ المالية	٩١ أعوان الميكادو
١٧٦ التربية والتعليم	٩٤ ايتو
١٩٦ الصحافة	١٠٥ أوکوما
٢٠٤ الحرية والبحرية	١١١ ايتا جاي

﴿ انتهى ﴾

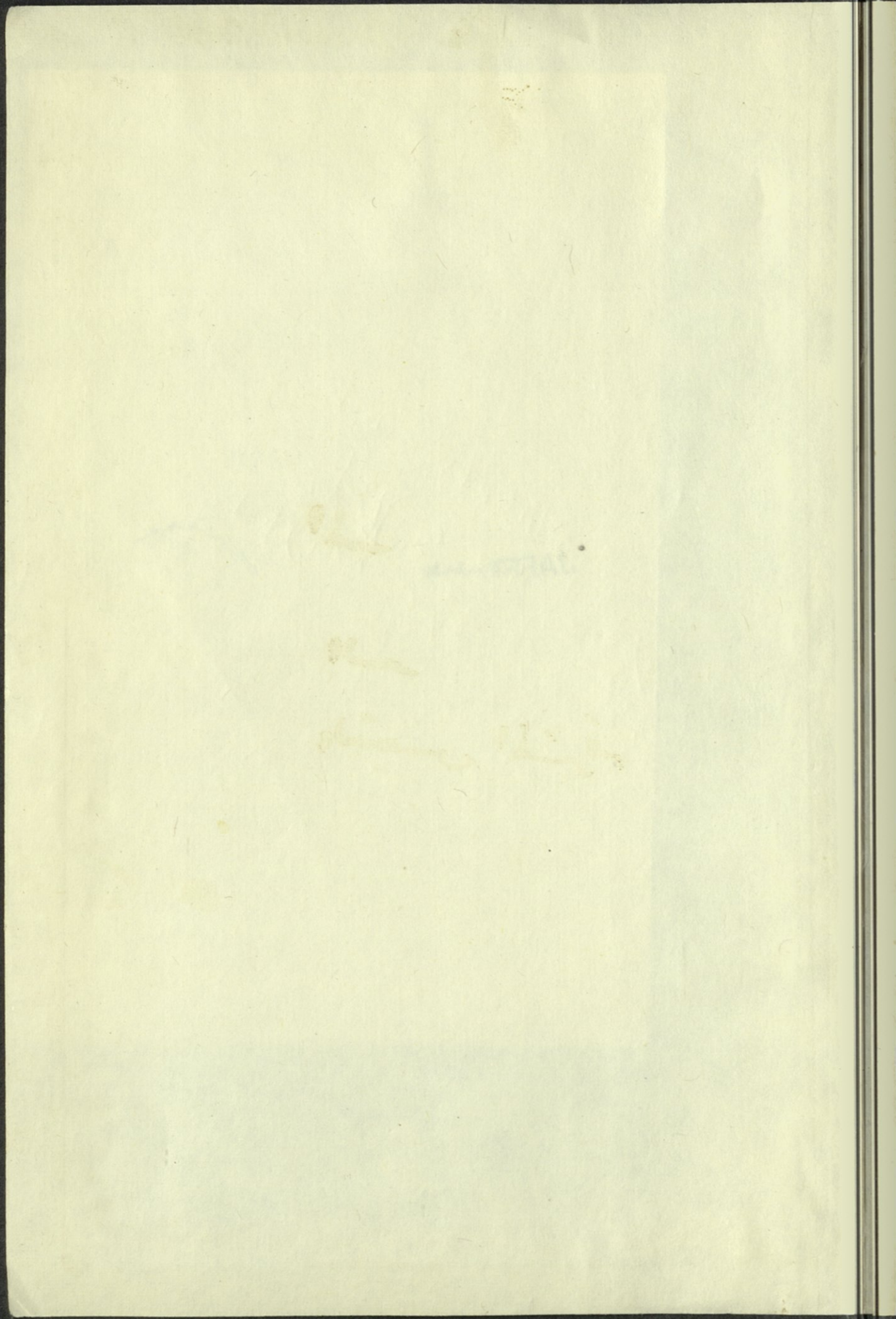
طبع هذا الجزء في ١٤ يونيه سنة ١٩٠٤



الم

الم

بشم المشرق



DATE DUE

JAFET LIB.
19 JUN 1998
Circulation Dept. 8

JAFET LIB.
05 FEB 2000
Circulation Dept. 8

JAFET LIB.
23 MAR 2000
Circulation Dept. 5

JAFET LIB.
- 2 OCT 2007
Circulation Dept. 3

JAFET LIB.
19 DEC 2003
Circulation Dept. 4

JAFET LIB.
18 SEP 2007
Circulation Dept. 2

952:K15sA:v.1:c.1

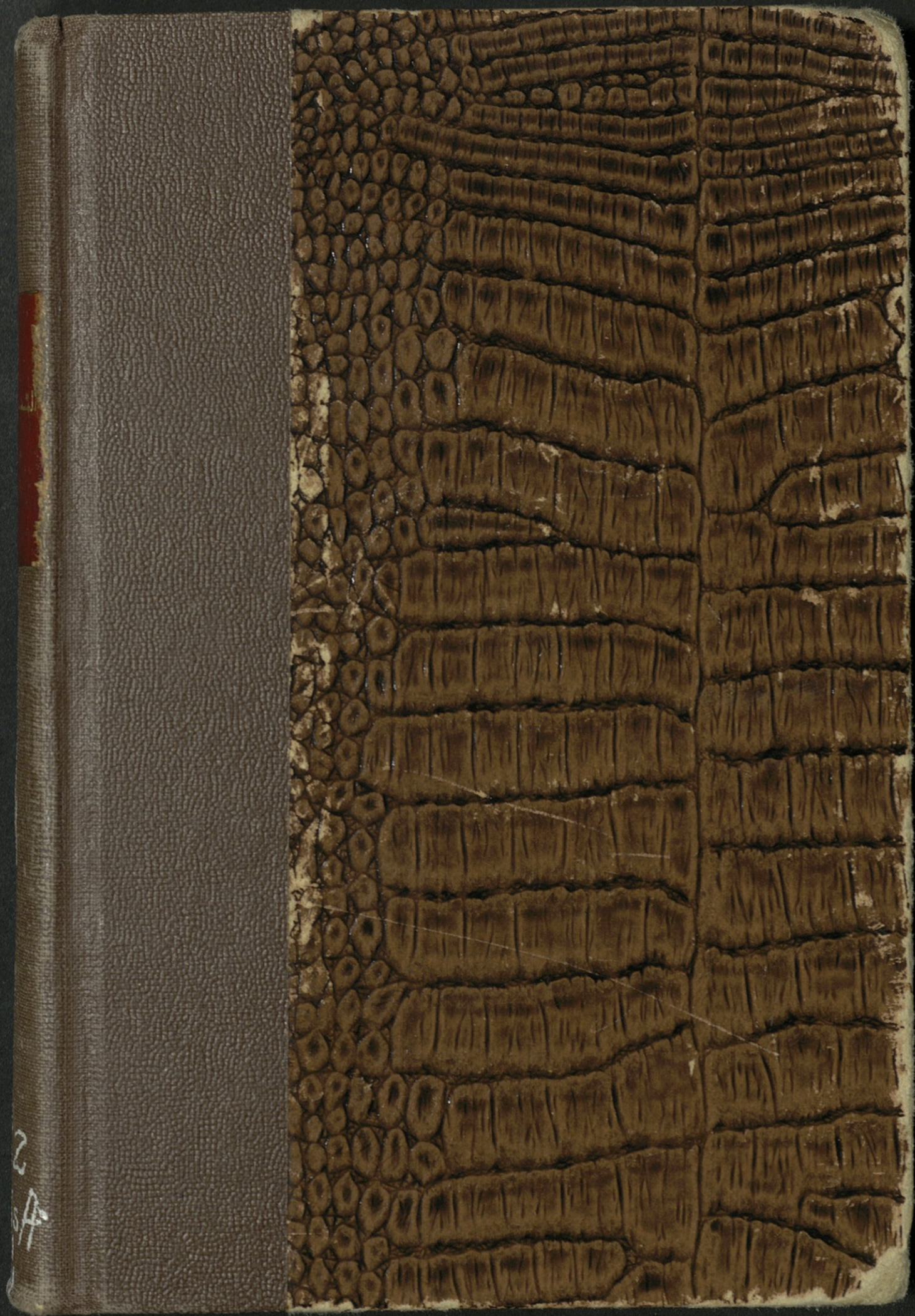
كامل، مصطفى

الشمس المشرقة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01050160



Red label on the spine, partially obscured and illegible.

2
54